الطبعة الثانية



استجوابات

غازي القصيبي



العبيكان
Obeikan


مكتبة
طريق العلم









استجوابات
غازي القصيبي

العبيكان
Obeikan

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القصيبي، غازي عبدالرحمن

استجوابات غازي القصيبي./ غازي عبدالرحمن القصيبي. - ط٢

الرياض، ١٤٣٢هـ

١٧٤ ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٥-١٢٩-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الشعر العربي - نقد - العصر الحديث

أ- العنوان

ديوي ٨١١,٩ ١٤٣٢/٢٣٢١

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٢٣٢١

ردمك: ٥-١٢٩-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الثانية

١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م

الناشر: العبيكان Obeikan للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان Obeikan

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥



إهداء

إلى الذين سألوا

المحتويات

توطئة

• قطع الدكتور/غازي عبدالرحمن القصيبي، رحلة تعليمه النظامي - بدءاً من الابتدائية، وانتهاءً بالدكتوراه - عبر أربعة بلدان مختلفة، هي: البحرين، مصر، أمريكا، بريطانيا. فأتاح له ذلك معايشة نماذج مختلفة من الأمم والشعوب، والتعرف على أنماط متعددة من العادات والتقاليد، والوقوف على ألوان متباينة من القيم والمثل.

• وتقلد - خلال رحلته العملية - العديد من المناصب الكبيرة والمؤثرة، في بلده «المملكة العربية السعودية»، فكان عميداً لكلية التجارة في جامعة الملك سعود، ثم وزيراً للصناعة والكهرباء، ووزيراً للصحة بالنيابة، ثم وزيراً للصحة، ثم سفيراً لبلده في البحرين، ثم سفيراً لبلده في المملكة المتحدة. فأكسبه ذلك خبرة واسعة في

الشؤون الإدارية والسياسية والدبلوماسية ثم عاد إلى الوطن وتولى وزارات المياه، والكهرباء، والعمل.

•• وكان تخصصه العلمي، الذي نال به درجتي «الماجستير» و«الدكتوراه» في مجال العلاقات الدولية فأتاح له فرصة المشاركة في خطط التنمية في بلده، وألّف في هذا السبيل.

✍ وأتقن – بالإضافة إلى لغته العربية الأم – اللغة الإنجليزية فأتاح له ذلك الاطلاع على قدر طيب من الإنتاج الأدبي والفكري لأهل هذه اللغة، ودون أن تترك الترجمة أثرها عليه، كما أتاح له ذلك الترجمة منها وإليها.

✍ وشُغف بالقراءة والاطلاع: فضرب بسهم وافر في التراث والموروث، والمعاصر والحديث، والقديم الغابر، والجديد الحاضر، ووصل البعيد بالقريب، وربط العربي بالأعجمي، فكان – من مجموع هذا كله – تكوينه الثقافي والفكري.

✍ وأوتي حساً رقيقاً، وعاطفة نبيلة، وشعوراً حياً متقداً، ينفعل بقضايا أمته العامة، وتشتعل به تجاربه الخاصة، فأكسب ذلك إنتاجه الفكري والأدبي ألقاً ناصعاً، ووهجاً ساطعاً، وأضفى عليه روحاً خاصة، ومذاقاً مميزاً.

✍ ورُزق براعة فذة في الحوار، وتجاذب الأفكار، فتميزت أطروحاته بالاستيعاب والاستقصاء والشمول. واتسمت آراؤه بالجرأة والثقة والحسم.

✍ وكان - قبل وبعد ومع هذا كله - شاعراً وناثراً معاً، فاختزل شعره ونثره كل هذه الروافد الفنية: من المعارف، والخبرات، والمواهب. فجاء شعره ونثره ممثلين لقمة عطائه، وفائق قدراته. وكانا - معاً - عشقه الدائم، وحبه الخالد، وأثره الباقي. ومن خلالهما - أكثر من أي شيئ آخر غيرهما - سافر إلى أفئدة وأذهان عشاق الأدب والشعر والفكر في العالم العربي، عبر مؤلفاته، بل تجاوز حدود وطنه العربي، وطرق العالم الخارجي ومن هذا كله - وأشياء أخرى غيره - تكونت الشخصية الأدبية والفكرية للدكتور/ غازي عبدالرحمن القصيبي. ولهذا كله، استطاع القصيبي أن يحتل مكانه المرموق بين أبرز نجوم الفكر والأدب والشعر في العالم العربي. ولهذا كله، كان أي حوار يُجرى معه حواراً مثرياً، وواعياً، ومستوعباً، ومفيداً، وشاملاً لمختلف الجوانب، والاهتمامات.

وعلى مدى الفترة الواقعة بين شهر يناير ١٩٩٠م وشهر سبتمبر ١٩٩١م - تابعتُ مجموعة من اللقاءات الصحفية التي أجريت معه، والتي أجراها محاورون بارعون من مجموعة من الصحف والمجلات العربية. وجمعتُ ستة لقاءات ثمينة، تطرق خلالها الحديث في العديد من القضايا والهموم العربية - وأبرزها أزمة الخليج - وللكثير من الإشكاليات والمصطلحات والتعريفات الأدبية، التي اختلف حولها الناس، وكانت - ولا تزال - محل جدل عريض،

وحوار مستفيض، بالإضافة إلى جوانب شائقة ومفيدة، من تجاربه وحياته الخاصة، ومداعباته ومُلَحِه الطريفة.

ولأهمية محتوى هذه اللقاءات، وفائدتها الكبيرة، رأيت أن تصدر في كتاب اخترت له اسم: «استجوابات غازي القصيبي»، خدمة للثقافة والفكر بصفة عامة، وللقارئ العربي بصفة خاصة، ولعشاق الدكتور القصيبي بصفة أخص، ورغبة في امتداد فائدة الكتاب عبر المساحتين الكبيرتين: المكانية، والزمانية. راجياً أن أكون قد وُفقت في هذا الإصدار، ووضعت بين يدي القارئ العربي مائدة حافلة من المفاهيم والأفكار. مع الشكر الوافر للقارئ الكريم، على حسن الاحتفاء والتقدير، والاعتذار البالغ، عما يمكن أن يكون قد وقع فيه من تقصير.

المعد



الفصل الأول

الشعر.. والفكر.. والمجتمع

مقابلة أجراها الدكتور

محمد جابر الأنصاري

- مجلة العربي/العدد: ٣٨٢/سبتمبر ١٩٩١م -

اثنـان مـن رجـال الشعر، والـفـكـر، والثقافة، في الجـزيـرة العربية والخليـج، يلتقيان في مواجهة فكرية مفتوحة، تحاول أن تصل - بأمانة - إلى جذور الأشياء:

- د. غازي عبدالرحمن القصيبي: الشاعر، الوزير، الدبلوماسي، الكاتب المتميز: مجيباً.
- ود. محمـد جابـر الأنصـاري: الناقـد، والمفكر، والباحث، والأستاذ الجامعي: سائلاً.

❣ هل تتذكر ذلك الظرف، وتلك اللحظة من العمر، عندما قلت لنفسك: «أريد أن أكون شاعراً!»؟ وهل مرت بك لحظة من العمر، قلت لنفسك فيها: «ليتني لم أكُنْهُ (الشاعر)»؟

- إن كانت هناك لحظة محددة هتفت، أو همست فيها: «أريد أن أكون شاعراً» فقد أفلتت من قبضة الذاكرة، وضاعت في سراديب الزمن غير أني أشك كثيراً أنه كانت هناك لحظة، أو ساعة واحدة فقد كانت هناك لحظات كثيرة جداً، عبر فترة زمنية طويلة نسبياً.

عندما كتبت «أول قصيدة» كنت في الثالثة عشرة، وعندما «استقامت القوافي والأوزان» - كما يقولون - كنت في الخامسة عشرة؛ غير أني كنت مبهوراً بالشعر، مولعاً بإنشاده، قبل العاشرة. كانت «اللحظة» - إذن - «إرهاصاً» استغرق خمس سنوات.

أما عن «ليتني لم أكن شاعراً» فعاطفة لم تَعْبُرْ بي حتى الآن، وأشكُّ - كثيراً - أني سأتعرف عليها مستقبلاً.

بقيت شطحة «ما في الجبّة إلا الشعر» وهذه لم تجئ بعد ولا أجرؤ على الجزم بأنها لن تجيء فالشطحات كالزلازل، يصعب التنبؤ بها.



مرحلة الخصوبة والتوهج

❣ قلت في كتاب «سيرة شعرية»: «إن سنوات الدراسة في القاهرة، كانت أخصب فترات حياتي الشعرية على الإطلاق».

لعلك قصدت أنها كانت «من أمتع» تلك الفترات؛ للتغيير الكبير الذي مثلته الحياة الجامعية في مدينة زاهرة كالقاهرة - حينئذٍ - ومع أصدقاء شعر متفاعلين، كالصديق عبدالرحمن رفيع؟

ولكن هل أردت القول بأن تفاعلك - فيما بعد - مع الحياة الجامعية و«الثقافية» في الولايات المتحدة لدراسة الماجستير، وفي بريطانيا لدراسة الدكتوراه - لم يمثل فترات خصوبة مماثلة - لا أقصد كماً، وإنما كيفاً -؟

لماذا احتكرت القاهرة خصوبتك الشعرية، أو استأثرت بمعظمها؟ هذا السؤال يقودني إلى ملاحظة أزعم أنها واردة

بالنسبة لتكوينك الثقافي العام، وهي أنك كشاعر ظللت عربياً خالصاً - ذوقاً وتكويناً - ولم يجذبك الشعر العربي الحديث، «ولهذا لم تتفاعل كثيراً مع مدرسة: حاوي، والسياب، والبياتي... إلخ». أما كجامعي، ومثقف، وناثر، «كاتب نثر» - فقد تأثرت بالمدارس والأفكار الحديثة، أعني أنك عندما تنظم الشعر، فأنت صوت عربي خالص، وكأنك عاشق أو فارس أما عندما تكتب النثر فأنت إنسان معاصر، «جنتلمان». أنت صاحب عبارات مثل: «في رأيي المتواضع» و«المزيد من رأيي المتواضع» وأظنك توافقني في أنه لا يوجد شاعر وعربي على مثل هذا التواضع! ما قولك؟

- كان المقصود «الخصب الكمي». كنت في تلك السنين أكتب - أحياناً - قصيدة كل يوم وأكتب - أحياناً - أكثر من قصيدة في اليوم الواحد ولم يكن أسبوع يمضي دون قصيدة.

وهذا الإنتاج - كما يعرف كل الشعراء، باستثناء ضحايا الإسهال الشعري - غزير جداً. إذا قارنا هذا المعدل بمعدل الكتابة خلال العقدين الأخيرين من حياتي «قصيدة واحدة كل ثلاثة شهور، أو أربعة» - فستجد الفارق الشاسع، غير أنني لا أستطيع سحب «الخصب» على ما يتجاوز المعيار العددي الخالص.

أما النقطة الثانية من سؤالك، فأرى أنك مصيب فيها كل الإصابة. لقد ظلت مشاربي الشعرية عربية خالصة، رغم تنوع مشاربي النثرية والفكرية. لا أستطيع - مثلاً - أن أحصي عدد

الكتب التي قرأتها باللغة الإنجليزية، ولكنني أستطيع - دون صعوبة تذكر - أن أحصي الدواوين. نادر حقاً هو ذلك الشعر الأجنبي الذي استهواني واجتذبني، سواء بصفته الأصلية، أو مترجماً إلى العربية.

أتصور أن السبب هو أن الشعر يختلف اختلافاً كبيراً عن النثر في قابليته للترجمة، والسفر بين الحضارات؛ الشعر ملتصق بلغته التصاقاً وثيقاً، بحيث يؤدي انتزاعه منها إلى تمزق الكثير من روعته.

ومن هنا حرصت في كل شعر ترجمته من العربية إلى الإنجليزية - سواء كان لي أو للآخرين - أن يكون «قابلاً للترجمة»، بمعنى أن ينتقل من لغة إلى لغة، دون أن يفقد كل مقوماته كشعر يختلف عن النثر. إن المقولة التي تذهب إلى أن «كل ترجمة خيانة للأصل» - لا تنطبق على شيء قدر انطباقها على الشعر، إذا لم تصدقني فحاول أن تترجم هذا البيت إلى الإنجليزية، أو الفرنسية، أو الألمانية:

نَصيبُكَ في حياتِكَ من حبيب

نَصيبُك في منامِكَ من خيالِ

ثم إنني مشدود إلى الموسيقا الشعرية العربية، إلى وضوحها ورنينها، وطنينها - إن شئت -، ومشدود إلى الصور المتراكمة في القصيدة العربية، التي تجعل منها لوحة زيتية بألف لون ولون

مشدود إلى الغنى اللفظي، الذي يفتح أمامك مناجم شاسعة من الكلمات الحلوة، مشدود إلى ما التصق بالذاكرة اللاواعية العربية الجماعية: من شغف بالغيوم والمطر، ومتابعة لحديث العيون، وخوف من تلصُّص الشيب في المفرق.

أين أجد هذا كله خارج الشعر العربي؟!

تبقى ملاحظتك عن التواضع، ويقتضي التواضع ألا أعلق عليها!



الماء والنار

❣ كثير من الشعراء بدؤوا بكره الدراسة غير الأدبية، ثم كرهوا - بعد المدرسة والجامعة - العلوم غير الشعرية: من طبيعية واجتماعية ... كرهوها لدرجة أنهم لم يستطيعوا رؤية ذلك الجانب من العالم الذي تشمله تلك العلوم.

في تقديري أن «خليل حاوي» انتحر عندما شن مناحم بيغن هجومه على بيروت لأنه في تلك «اللحظة الشعرية» لم يبصر بين أسباب أخرى القوانين الاجتماعية والتاريخية، التي كانت تتحكم في الموقف، بينما استطاع «ابن خلدون» أن يقابل «هولاكو» عند أسوار دمشق المحاصر؛ لأنه أدرك أن «طبائع العمران، وسنن التاريخ» جاءت بهذا البدوي المغولي إلى قلب الحضارة. «أقصد أن هذا عامل - بين عوامل أخرى - تخص كلاً من الرجلين».

وعودة للسؤال الأصلي: يبدو - من مجمل نتاجك وسيرتك - أنك استطعت أن ترى «الجانب الآخر» من صورة العالم «غير الشعرية» - وهذا ما قد يدعم رأيك القديم بأنك شاعر بين أمور أخرى - فكيف مرت بك المواد المدرسية غير الأدبية، والمقررات الجامعية غير الشعرية؟. هل أحببتها حقاً؟. ثم الملاحظ أن تخصصك الجامعي النهائي في العلاقات الدولية «قانون دولي»». موضوع حقوقي دقيق، لا يطيقه شعراء كثيرون، أخبرنا عن سر جمعك هذا بين الماء والنار.

- لأمر ما لم أشعر أبداً بأي حافز نفسي، لدراسة الأدب عموماً، والشعر خصوصاً، دراسة أكاديمية. كنت - ربما - أدرك إدراكاً غريزياً أن الشعر لا يمكن أن «يُدَرّس» كما تدرس الجغرافيا أو التاريخ. وكنت - ربما - إنساناً هو مزيج من إنسانين: الشاعر الذي لا يطمح إلى ما يتجاوز المجد الشعري، والإداري ذي التطلعات الجموح.

وبهذه المناسبة أقول: إن «فلاسفة الأبراج» يزعمون أن في التركيبة النفسية لمواليد برج الحوت - وأنا منهم - شيئاً من الازدواجية: بين الهدوء والحركة، النشاط والكسل، الطموح والقناعة، وهو رأي لا آخذه بالكثير من الجدية.

كانت اللغة العربية - دائماً - مادتي المفضلة، تليها المواد الاجتماعية. أما الرياضيات وأخواتها، فقد كنت معها على عداء

شديد متبادل. أما القانون فهو - في نهاية المطاف - من صميم المواد الاجتماعية. ولم تشكل دراسته، أو دراسة العلوم السياسية، والعلاقات الدولية، - فيما بعد - عبئاً يذكر.

بسبب هذا الجمع - بين الشعر والعلوم الاجتماعية - كنت عاجزاً عن النظر إلى العالم بعيني الشاعر فحسب. دليل هذا هو أنني لم أكن - ولن أكون أبداً - شاعراً عظيماً.

في الوقت الذي كنت فيه - شاعراً - أكتب القصائد عن هزيمة حزيران، كنت - باحثاً - أعي - بوضوح - أسبابها وأبعادها. في الوقت الذي كنت فيه - شاعراً - أعاني معضلة الإنسان، كنت - دارساً تنموياً - أعرف سر المعضلة. ومن هنا، فعجبي لا ينتهي من أولئك الشعراء، الذين يتحدثون في كل مجال، ويفتون في كل موضوع شأنهم شأن الفنانات الأميات، اللائي يتحدثن عن أزمة الشرق الأوسط، وجائزة نوبل، والحرب الباردة.

فلأعد إلى السؤال. لم يكن الموضوع جمعاً بين «الماء والنار». كان - في حقيقة الأمر - جمعاً بين ماء عذب - هو الشعر - وماء أقل عذوبة - هو مجال التخصص الأكاديمي.



صدق التجربة

❣ في زمن الشباب الشعري والنقدي - عندما اختلفنا أنت وأنا حول مفهوم الالتزام، وأهمية الشعر القصوى في حياة الشاعر- كنت تصر على أن الشعر جانب من جوانب حياتك، وأنك لا ترى أن الشاعر يتجرد كلياً للشعر، أو يعده همه الأول، وأنه يمكن أن يكون أشياء أخرى في الحياة، بالإضافة لكونه شاعراً.

وخلال مسيرتك في الحياة، أثبتّ هذا الرأي بالفعل، فكنت: إدارياً، وأكاديمياً، ووزيراً، وسفيراً، بالإضافة إلى كونك شاعراً. ولكن تجربتك أثبتت أن الشاعر الذي جعلته يتعايش فيك مع: الإداري، والأكاديمي... إلخ، هو الذي كانت له الكلمة الفاصلة، عندما برزت مسألة الأوّليات، في تقرير الهواية والمسيرة الحياتية، وأن «الكلمة الشعرية» كانت هي «الكلمة»، وأن «الوجود الشعري» كان هو «الوجود». وأعني بالشعر - ههنا - معناه الكياني، كالتزام حياتي، وكصفاء وقيمة، وليس كفن محض!.

كيف تتفاعل مع زعمي هذا؟!

علماً بأنك دائم التشكك حول دور الشعر في العصر الحديث. وأذكر أنك قلت لي قبل سنوات - في رسالة شخصية - إنك تعتبر شعرك من درجة متوسطة وذلك ما لا أوافقك عليه - وأنك غير طامح لمكانة شعرية كبرى.

- لا يبدو أن نقاشنا «المزمن» حول «الالتزام» - ذلك الذي بدأ قبل ربع قرن - سينتهي أبداً رغم محاولاتك ومحاولاتي الدائمة للتقريب بين الموقفين.

مشكلتي مع «الالتـزام» أني أراه صفة خارجة عن الشاعر، مسقطة عليه من طرف آخر، غالباً الناقد.

عندما نقول: إن شاعراً ما شاعر «ملتزم»، فنحن نعني أنه «ملتزم» بما نعده نحن قيماً ومُثُلاً يجب الالتزام بها.

لا أتصور أن ناقداً «يمينياً» سيمجد «التزام» شاعر «يساري» (والأرجح أنه سيعتبره تخلياً عن الالتزام الحقيقي) أو أن ناقداً «يسارياً» سيمجد التزام شاعر «يميني» (والأغلب أن يسمى هذا «الالتزام» «رجعية» أو «بورجوازية»).

الالتزام «منحة» من النقاد الملتزمين، أو القراء الملتزمين، لذلك الإنتاج الذي يتواءم مع مواقفهم السياسية والدينية والفكرية.

كنت – ولا أزال – أقول: يكفيني صدق التجربة وقت الكتابة. أشعار أبي نواس في التوبة، جاءت أروع من أشعار الزهاد المحترفين، لأنها كتبت بمنتهى الحرارة. كان المتنبي رائعاً في مدحه وهجائه للشخص نفسه لأنه كان صادقاً في مدحه وهجائه للشخص نفسه. كنت – ولا أزال – أرى أن إصرارنا على «التزام» الشاعر، سيزج بنا في متاهة من المعايير الأخلاقية، والفكرية، والاجتماعية، التي لا تمت بصلة إلى معيار الفن.

أما فيما يخصني، فقد قبلت – من البداية – حقيقة كوني شاعراً، واستسلمت لها، كما استسلمت لحقيقة أنني لن أستطيع أن أطل على الحياة، إلا عبر نظارة طبية سميكة ولحقيقة أن أحداً لن يسميني – أبداً – الشاعر النحيل».

لم يكن ثمة حساب أرباح وخسائر، لتحديد ما أخذت صفة «الشاعر» وما أعطت. كنت أتفاعل مع أحداث الحياة «المعقدة» – عملاً وقولاً – دون محاولة واعية لفلسفة هذا التفاعل. عندما تأتي أنت الآن وتقرر أن حقيقة كوني شاعراً كانت لها الكلمة الفاصلة – عندما تقرر بعبارة أخرى أني كنت ملتزماً – فأنت تسبغ عليّ صفة من عندك، من خارج ذاتي

لاأزال أقول: لا التزام عندي إلا بعدم الالتزام!



مشروع لكتابة رواية

❣ كتاب «سيرة شعرية» - الذي أعتقد أنه أيضاً سيرتك الذاتية إلى حد ما، وليس سيرتك الشعرية الخالصة، كما أشرت في المقدمة - يقف زمنياً عند حدود أربعينك من العمر، وأنت الآن قد نظمت قصيدتك «الخمسينية» - أخيراً - احتفاءً بهذه المناسبة السعيدة، من عمرك المديد - إن شاء الله -. فهل لسيرتك الشعرية أن تمتد؟

تعرف أن الشاعر «ميخائيل نعيمة» كتب «سبعون»، فهل من سيرة شعرية جديدة - نوعاً وكيفاً، لا زمناً وكماً فحسب -؟ وأعتقد أن لديك تجارب مختلفة نوعاً من مرحلة الأربعين وما قبلها من براءة الصبا والشباب وانطلاقهما.

في أي مرحلة من العمر تنوي كتابة السيرة الجديدة؟ وهل ستكتب الجزء الثاني، وتترك الجزء الأول كما هو؟ أم تعيد

صياغة ما استقدمت، في ضوء ما استدبرت. لتكتب كتاباً جديداً، يتضمن تصحيحاً، أو تعديلاً، للكتاب الأول؟

- صدرت الطبعة الثانية من «سيرة شعرية» بعد أن تجاوزت الخامسة والأربعين. ولا أظن أنه جدّ على مساري الشعري - منذ ذلك الحين - ما يبرر صدور طبعة ثالثة.

تبقى السيرة الذاتية، وكتابتها حلم يراودني منذ فترة طويلة، وهناك عقبتان: واحدة تتعلق بالمبدأ، والأخرى تتعلق بالتفاصيل. من حيث المبدأ: مادام لا يمكنني أن أقول كل ما أريد قوله لأسباب لا تخفى على فطنة أحد - هل يجوز لي أن أكتفي بما يمكنني قوله؟ ثم يبقى الشكل الفني الملائم: هل تجيء السيرة الذاتية بالطريقة التقليدية المألوفة - وهي طريقة تقتل القارئ من الملل، ما لم تكن أحداث «السيرة» خارقة ومثيرة -؟ أم أن هناك أسلوباً آخر؟. أراني أميل تدريجياً إلى أن الشكل الأمثل، هو الرواية، حيث تمتزج الوقائع بالخيال، ويتاح قدر أكبر من الحرية. ما أفكر فيه أن تكون لكل مرحلة روايتها: الطالب، الأستاذ، الموظف... إلخ. هذا مشروع في الأعماق، لا يزال يعتمل، ولم يختمر.



لست خائفاً من النضوب الشعري

❢ تحدثنا - قبل قليل - عن مرحلتك الخمسينية. وفي تقديري الخاص أنك ستعيش كهولة «وشيخوخة مديدة إن شاء الله» تتصف بالسعادة وخصوبة الإنتاج لأن شخصيتك الناثرة والمفكرة، ستستيقظ وتنضج أكثر مع تقدم العمر، «هل حدث ذلك معك فعلاً؟!»، وفي هذه الحالة يتأزم الشاعر الذي ليس له غير الشعر، ويشعر بالعقم والنضوب والأسى، بينما أنت لديك من الزاد الفكري، ما يعد بشتاء دافئ، ما تفاعلك مع «تصوري المستقبلي» هذا؟ هل تجد له أصداء أو مؤشرات وبوادر في تجربتك؟

- بعد أن صدق عدد كبير من توقعاتك - وأشير بصفة خاصة إلى انهيار الشيوعية في أوربا الشرقية، وبروز العملاق الآسيوي، لابد لي أن آخذ «تصوراتك المستقبلية» بالكثير من الجدية.

أن يكون الإنسان ذا جوانب متعددة، بالإضافة إلى الشاعرية - كما يحلو لي أن أتصور نفسي - فهذا سلاح ذو حدين. لقد قلت لي أنت نفسك - أكثر من مرة -: إنه لابد للمرء أن يكون شاعراً فحسب، أو شاعراً قبل كل شيء، إذا أراد لشعره الخلود، وكنت أصر - دائماً - على أنني لا أستطيع أن أكون شاعراً فحسب، بل لابد أن أكون شاعراً مع كل شيء. لم أكن أطمع - على أي حال - في خلود شعري. ويجيء الجانب المضيء في الصورة، ما ذكرته في سؤالك - وهو ما بدأت ألحظه بالفعل - من بروز الاهتمامات الأخرى إلى السطح.

لا يراودني الآن أدنى خوف من كهولة ناضبة شعرياً. هناك هذا الترقب الهادئ لقصيدة قد تجيء: إذا جاءت نزلت في العيون، وإن لم تجئ لم أشعر بأنني بركان قد خمد، أو بئر قد جفت.

بسبب اهتماماتي الأخرى، يستوي لدي هذه الأيام - عندما أخلو بنفسي - أن أخلو لأكتب قصيدة، أو لأرحل بهدوء في أعماق إنسان آخر عن طريق كتابه، سواء كان كتابه شعراً، أو رواية، أو فقهاً، أو فلسفة.



الوعي بين النثر والشعر

❣ لاحظت في مقالة نقدية نشرتها لي «العربي» عام ١٩٨٣م، أنك تمكنت من الجمع، بين أسلوب الشعر، وأسلوب النثر - ظاهرة ليست شائعة في أسلوب الشعراء - ولكن المفارقة العجيبة التي لاحظتها في تلك المقالة، أن أسلوبك في الشعر جزل رومانسي حزين - عدا شعر المداعبات الإخوانية الذي لا تهتم بجمعه ونشره، إحساساً منك بأنه لا يمثلك في العمق - بينما أسلوبك في النثر سلس، فكه، خفيف، على قدر كبير من الظرف وخفة الروح، «كحضورك الاجتماعي»، كيف تفسر هذا النسيج غير العادي، في تكوينك الشعري والشخصي ككل؟

وقبل أن تجيب، أرجو ألا تعد سؤالي هذا مجرد صدى للسؤال القديم، الذي سألك عارفوك، وأثبته في سيرتك الشعرية: «هل

لك شخصيتان متميزتان، إحداهما مرحة متفائلة - وهي التي نراها بيننا - والثانية متشائمة مكتئبة - وهي التي نقرؤها في شعرك -؟ «بعبارة أخرى» هل أنت إنسان مرح متفائل، وبالتالي نستطيع أن نعتبر شعرك الحزين نوعاً من الخداع؟ أم أنك إنسان حزين متشائم، وبالتالي نستطيع أن نعتبر مسلكك بيننا نوعاً من الخداع؟».

كلا، من معرفتي بك لا أعتقد أنك مخادع في أي من الحالتين، سؤالي: كيف استطعت أن تجمع بين الحالتين دون أن تكون مخادعاً؟

- - الإجابة - في اعتقادي - تكمن في أن كتابة النثر عملية واعية، ظاهرة إرادية يملك الكاتب قدراً كبيراً في مسارها. بينما نجد أن كتابة الشعر - بالنسبة لي على أي حال - عملية يتم الجزء الأكبر منها في اللاوعي.

وإذا سلمنا أن هناك وعياً ولا وعياً - وهذا أبرز ما أنتجته نظرية «فرويد» دون التسليم بما بناه على الفارق بينهما من دلالات واستنتاجات - كان لنا أن نقول: إن النثر يعكس الجانب الظاهر من شخصيتي «الوعي»، أما الشعر فيمثل المختفي، أو «اللاوعي».

يغوص الشعر ويخرج بأشياء لا يفاجأ بها الآخرون فحسب، بل أكون أنا أحياناً أول من يفاجأ بها ومنها ذلك الشعور بالكآبة، وهو شعور لا أحس به في عقلي الظاهر، ولا في تصرفاتي

ولكن مهلاً! لماذا تريد مني التفسير؟ أنا أرى أن التفسير الذي انطوت عليه مقالتك المشار إليها في «العربي»، أفضل من أي تفسير يمكن أن يصدر مني.



الصحراء في أعماق قلبي

❓ عندما لخصت المعني الكامن للثقافة، في شرق الجزيرة العربية والخليج قلت: إنه يكمن في «جدلية البحر والصحراء»، في تلك الظاهرة البرمائية للوجود الحضاري في المنطقة: حيث أمواج البحر المنفتح على البعيد، وعلى العالم كله، تتوازن وتتجاذب مع أمواج الرمل الصحراوي، وامتدادها الضارب في عمق الأرض الصلدة.

فالموج حركة تغيير، والصحراء ثبات وسكون، وحصانة ذاتية، ومن المعنيين - الحركة والثبات - تتولد هذه الجدلية.

باعتبارك أحد الشعراء والمثقفين ورجال المجتمع البارزين، الذين خبروا هذه الجدلية بوجهيها: البحري، والبري، - من «أشعار من جزائر اللؤلؤ» إلى «أنت الرياض»، حيث في الديوان

الأول رائحة البحر ولآلئه واضحة، وفي الثاني «كأنك أنت الرياض، بأبعادها، بانسكاب الصحاري على قدميها» - كيف ترى هذه الجدلية؟ هل هي فرضية واردة؟ وكيف هو التعاطي بين محوريها؟ انسجام، أم تجاذب، أم تباين، أم ماذا؟

وأظنك لمست الجانب المنسجم منها عندما قلت في قصيدتك «جسر المحبة»:

«بـــدوٌ وبـــحـــارةٌ مـــا الـــفـــرقُ بينهما

والبرُّ والبحرُ ينسابان من مضرِ؟!»

ولكنك القائل أيضا:

«والبيد من غير حدٍ وللمسافر حد»

هذا شعر جميل، لغازي الشاعر.

ترى ما قول غازي المفكر، والمجرب الواقعي في جدلية «البر والبحر»؟ وهو يجوبها فوق جسر الحياة جيئة وذهاباً، ذاكراً أنه كانت لك غرفة بحرية ببيتك في الرياض.

- أنت أكثر مني ولعاً بالجدليات: البر/البحر، الحضارة/البداوة، التناقض/ التوفيقية، وأكثر مني إيماناً بها كمفاتيح لفهم شتى الظواهر. ومن هنا فأنت أقدر مني على التعميم.

ولكني أستطيع التحدث عن نفسي:

أنا - ككل العرب - أحمل الصحراء في أغوار عقلي الباطن: أحمل هذا التراث الشاسع: من الغيلان، والسعالي، والسراب، والواحات، والذي كثيراً ما يطفو على سطح القصيدة. وأنا - بالذات - أحمل الصحراء في أعماق صدري بمعناها المباشر: فقد ولدت وترعرعت في أحضانها، وقضيت ليالي لا أحصيها أعد نجومها. ولذلك تستطيع أن تعدني كائناً صحراوياً، «ولعل هذا ما يفسر ذلك «الظمأ» الذي لا يغيب أبداً عن شعري».

غير أني أحمل - ككل الخليجيين - البحر في أغوار عقلي الباطن: هذا السجل الحافل من أساطير السندباد، ورحلات ابن ماجد، هذا التاريخ المثير: من أسماك القرش، واللؤلؤ، وتجار اللؤلؤ، ورقيق اللؤلؤ.

وأنا - بالذات - أحمل عشقاً خاصاً مباشراً للبحر، الذي لا أطيق البعاد عنه، «وكنت في الرياض أجده في غرفتي البحرية التي أشرت إليها، والتي تحمل كل شيء من البحر إلا الماء» تستطيع - إذن أن تعدني كائناً بحرياً. هل نعود إلى برج الحوت؟! هذا كل ما أستطيع قوله، وأترك الباقي لغيري، ليقول لي أثر الجدلية الصحراوية/ البحرية على حياتي، أو على شعري.



نحن والأزمة العربية

❣ في أشعارك وكتاباتك إشارات عديدة إلى الأزمة العربية الشاملة، التي نعانيها في المرحلة الراهنة، وحتى في شعرك غير الالتزامي، والعاطفي، أستطيع أن أؤشر إلى معاناة ظاهرة، أو خفية لهذه الأزمة.

هل يمكن أن تخبرنا عن خلاصة معاناتك، وتجربتك لذلك، كيف ترى المسألة كلها؟ وهل من حل؟ ومن أمل؟.

هنا أنا أسأل غازي «كله»، لا أسأل الشاعر، أو الناثر.

- هذا «سؤال الأسئلة»! الأزمة هي: «تخلف، جهل، تعصب، في مناخ مرتبط بانعدام الحرية». والحل هو: «تنمية، تعليم، تسامح، في مناخ حر».

هذا ليس كشفاً، ولا إلهاماً، ولا ابتكاراً. هذا هو الدرس الذي تعلمته البشرية، عبر معاناتها الطويلة خلال القرون.

ولكن المشكلة لا تنتهي هنا، بل تبدأ.

التحدي هو أن تنحاز في قراراتك، كل قراراتك، إلى الحل، لا إلى الأزمة.

وقد حاولت في كل موقف - صغيراً كان أو كبيراً - أن أكون مع التنمية، وضد التخلف، ومع الحرية وضد التسلط، إلا أن الخيار نادراً ما كان بين الأبيض والأسود. كانت هناك درجات مختلفة من الظلال: هل كانت قراراتي صائبة؟ هل كان معظمها صائباً؟ هل كان بعضها صائباً؟ علم هذا عند ربي.

ثم هناك «عذاب العذابات»، المرتبط بـ «سؤال الأسئلة»! هل أستطيع أن أقرر أني كنت جزءاً من الحل، ولم أكن جزءاً من الأزمة؟ من يضمن لي أني لم أكن - بقضي وقضيضي - عرضاً في مرض: التخلف، الجهل، التعصب، التسلط؟! ثم يسألونني: «لماذا الكآبة»؟!.



التعليم مفتاح التقدم

❣ تجربتك «البعيدة عن الشعر تماماً» في التنمية والصناعة والخدمة العامة - إذا كنت تشاركني القول بأنها بعيدة عن الشعر في نظرك -، كيف يمكن وضعها في سياق تجربتك الحياتية الشاملة؟ هل أغنت حياتك الأدبية أم أنضبتها؟ كيف كان الشعر «يشتغل» بداخلك وأنت «تشتغل» بالتنمية؟ ولو عاد الزمن من جديد، هل كنت تختار مسارها مرة أخرى؟

وبعيداً عن هذا كله، ما محصلة انطباعك بوصفك مثقفاً عربياً، جرب الخدمة المدنية العامة في الوطن العربي؟

- لا شك أن قدري المهني كان معقداً بعض الشيء. هل تعرف شاعراً لديه خبرة واسعة في التدريس الجامعي، وتشغيل القطارات، وإدارة الموانئ، والتسويق الصناعي، وشبكات توزيع الكهرباء، والطب الوقائي، والحصانات الدبلوماسية؟!.

يمكن – من الوهلة الأولى – أن أقول: إن كل هذا لم يكن له أي علاقة بالشعر. ولكني – بعد الوهلة الأولى – أتذكر أني لم أتعلم شيئاً من هذا كله، إلا عن طريق التفاعل مع الآخرين، مع البشر، والبشر – في نهاية المطاف – هم مادة الشعر الأولى، والأخيرة.

هل كان بالإمكان، لو اتخذ مساري المهني خطاً آخر – لو بقيت في الجامعة مثلاً – أن تكون حصيلة الشاعر من التجارب أغنى وأخصب؟.

هذا سؤال طالما واجهته، وطالما وُجِّه إليّ، وكنت أعجز عن الإجابة لأني أعرف ما كان، ولا أعرف ما كان يمكن أن يكون.

لو عاد الزمن من جديد، لاخترت ما أعرف، وهذا – كما ترى – من قبيل الجبن الشديد لا الإعجاب بما كان.

محصلة تجربتي الطويلة في الخدمة المدنية، جملة واحدة لا أملُّ تكرارها: «التعليم – بكل وجوهه النظرية والتدريبية والعملية – هو مفتاح التقدم، وما عداه باطل الأباطيل، وقبض الريح».



مجتمع الحساسية والخوف

❣ هناك انطباع مؤداه: أن الحياة الفكرية العربية - على المستويات الخاصة - «عندما يجلس المفكرون كأصدقاء وراء أبواب مغلقة»، تمتاز بالحيوية والخصوبة والجرأة، وتنطوي على أفكار ابتكارية حية، بينما هذه الحياة - على المستويات العامة - «عندما يخاطب الأشخاص أنفسهم الجمهور في العلن» تتصف بالرتابة والجمود والتكرار والاجترار! وأن المفكر - ذاته - يبدو مبدعاً مجدداً في نطاق خاصته، ويبدو عديم اللون - إلى حدٍ بعيد - على مستوى الخطاب الجماهيري، أو الرسمي العام!. ما رأيك في هذا الانطباع، من تجربتك مع أصدقائك ومعارفك، من المفكرين والأدباء ورجال الكلمة، ومن تجربتك مع ذاتك أيضاً؟ لماذا تحدث هذه الظاهرة إن صحّت؟ هل لها علاج؟ وهل ترى أنها استمرار لأزمة الفجوة بين «ثقافة العامة»

و«ثقافة الخاصة»، في التراث العربي، قديمه وحديثه؟ أم أنها مسألة أخطر من ذلك؟

- نحن - جميعاً - «خوافون». لا، هذه الكلمة ثقيلة بعض الشيء! فلنقل: إننا - جميعاً - «حساسون» خاصة أن الحساسية - هذه الأيام - من الأمراض «النبيلة»، التي يعتز بها الأطباء والضحايا على حدٍ سواء.

لنكن منصفين كل البشر - ما عدا المجانين - يفعلون في السر، أو مع خاصتهم، ما لا يفعلونه في العلن. بل إن العرب في الجاهلية، لم يكونوا ينفرون إلا من الإثم «العلني»، فجاء القرآن الكريم يلحق ما «بطن» من الفواحش بما «ظهر» في التحريم. ولعلنا نحمل في أعماقنا شيئاً من الإرث الجاهلي في هذا المجال. إلا أنه بمقدار ما تزداد الهوة بين التصرف العام، والتصرف الخاص، يعاني المجتمع من ظاهرة «الفصام». وأتصور أن مجتمعنا العربي «منفصم» أكثر من سواه. والسبب هو «الحساسية»، وحساسيتنا معقدة إلى أبعد مدى. هناك الحساسية «السياسية»: الخوف من إغضاب أهل الحول والطول. وهناك الحساسية «الدينية»: الخوف من إزعاج أهل الفتوى والوعظ. وهناك الحساسية «الاجتماعية»: الخوف من مس الاعتبارات العشائرية، أو الأسرية، أو الشخصية، وهناك ما شئت من حساسيات.

«كانت المحصلة النهائية، أننا تحولنا - بدرجات متفاوتة - «كمجتمع» إلى «باطنيين» «نظهر» من الآراء ما لا «نبطن» - جاءت

الأشياء «المضنون بها على غير أهلها» والمقصود - بطبيعة الحال - الأشياء التي تسبب إذاعتها على الناس خطراً على قائلها. وجاءت «ثقافة الصفوة»، أي الثقافة التي تغضب العامة لو وصلت إليهم.

والعلاج؟! لم يكشف الطب - الطب العربي على أي حال - «حتى الآن» أي علاج للحساسية.



شخصيات وآراء

❣ شخصيات من التراث العربي أحببتها، وتأثرت بها، وأخرى - لسبب أو لآخر - لم يقم بينك وبينها ود، وشخصيات من التراث العالمي استلهمتها، وأعجبت بها.

كيف تتفاعل مع ذكر الشخصيات الآتية، في الحياة الثقافية الحديثة، أو المعاصرة، في الجزيرة العربية والخليج: إبراهيم العريض، عبدالله القصيمي، حمد الجاسر، عبدالرحمن منيف، عبدالله الغذامي، قاسم حداد؟

وبالمناسبة، أشعر أن شعورك تجاه نزار قباني، قد تعاوره صعود وهبوط. إن كان ذلك صحيحاً، هل يمكن أن تلخص لنا قصتك معه؟ أعني قصة ذلك الشعور في تحولاته؟

- شخصيتي. المفضلة في تراثنا هي «عمر بن عبدالعزيز» الرجل الأسطورة المأساة. أما الرجل الأسطورة، فنعرفه جميعاً، وقد أضافت كتب التراث إلى الرجل، وإلى الأسطورة، هالة كبرى من الخوارق والمعجزات أمّا المأساة، فلم نسمع عنها - بعد - بما فيه الكفاية.

كم أتمنى أن أكتب عن عمر بن عبدالعزيز - ذات يوم - عملاً شعرياً يرتقع إلى مستواه.

أما الشخصية التي أمقتها مقتاً عميقاً يتزايد عبر السنين فهي: الحجاج بن يوسف، «وكم توجعني المحاولات المتهافتة التي تنشر بين الحين والآخر لتصويره مجاهداً في سبيل الله».

ولو أخذنا ما نقلته المراجع التاريخية عن ضحاياه من قتلى وسجناء وحذفنا ٩٠٪ من الأعداد - باعتبارها من قبيل المبالغات، والأكاذيب - واحتفظنا بالعشر الباقي - لبقيت لنا صورة كالحة، لرجل من أكثر طغاة التاريخ دموية وعنفاً وسوداوية وشذوذاً. إنه وصمة من أشد الوصمات السوداء سواداً في تاريخنا، وتقاعسنا عن الاعتراف بهذه الحقيقة وصمة أخرى.

من التراث العالمي أتعاطف مع شخصية خيالية، هي: «دون كيشوت». هذا هو البطل الوحيد في التاريخ الذي خاض معاركه دون أن يسفك دماً، أو يدمر مدينة، أو ييتم طفلاً وأكره كل هذا الحشد الهائل من «الفاتحين العسكريين» بدءاً بالإسكندر، وانتهاءً بهتلر.

إبراهيم العريض: هذا الرجل هو الذي وضع الخليج على الخارطة الشعرية العربية.

عندما قلت عنه -مرة- إنه كان شعر الخليج -لا مجرد شاعره- لم أكن أبالغ. عبر الثلاثينات، والأربعينات، والخمسينات، كان «العريض» الصوت الشعري الخليجي الأصفى، والأنقى، والأبعد صدى. يكفينا هذا منه، ويكفيه هذا منا. ليس من الإنصاف في حقه أن نأخذ منه هذا الإنجاز وليس من الإنصاف في حق الشعر أن نعطيه أكثر من هذا الإنجاز.

عبدالله القصيمي: بأسلوب القصيمي نفسه أقول لك: إن أي محاولة، أو دراسة، أو تحليل، أو تشريح لفكر، أو إنتاج، أو فلسفة، أو أطروحات، أو كتب، أو نظريات القصيمي - لن تنتج، أو تظهر، أو تبين، أو توضح، سوى مقولتين، أو شعارين، أو جملتين، هما: «اكفروا بالله». و«قلدوا الغرب».

ياضيعة العضلات الفكرية! إن ذكر التاريخ القصيمي فسوف يذكره لهجومه الرائع على الديكتاتوريات العسكرية وهذه هي النقطة المضيئة الوحيدة في تراثه.

حمد الجاسر: في عالم «سلق» الكتب، وانتاجها بالجملة، - أعني العالم العربي - يقف «حمد الجاسر» راهباً حقيقياً من رهبان العلم: من تلك «الصفوة» التي تقضي سنين طويلة في تأليف معجم واحد أو استكشاف منطقة واحدة.

وكل تقدم في العلم، لا يتم إلا بواسطة «رهبان العلم»، أمثال الجاسر. لو كان لدينا أكثر من جاسر - في كل مجال فكري - لتغيرت حياتنا الفكرية إلى الأفضل.

عبدالرحمن منيف: موهبة روائية حقيقية لا شك فيها. ولكني آخذ عليه مأخذين: المأخذ الأول: أن أيديولوجيته - وهي يسارية ما قبل سقوط سور برلين - كثيراً ما تدفعه لا إلى ليّ عنق الحقائق - وهو أمر مقبول في الفن - ولكن إلى كسرها - وهو أمر غير مقبول لا في الحياة، ولا في الفن . بصفة محددة -. أقول: إن «مدن الملح» ليست ملحمة النفط والصحراء، ولكنها «كاريكاتير» سياسي لهذه الملحمة. والمأخذ الثاني: أن انضباطه العقائدي لا يواكبه - دائماً - انضباط فني. في رواياته تجد فصلاً من مائة صفحة، وفصلاً من صفحتين (وهو - طبعاً - حر في فصوله، وأنا حر في نقدي) هل من المعقول - مثلاً - أن تحتل شخصية مسطحة، أحادية الجوانب، لطبيب انتهازي، ثلث رواية عن ملحمة «النفط والصحراء»؟

عبدالله الغذامي: لا أفهم الكثير مما يقوله عبدالله الغذامي ولا أتفق معه في الكثير مما أفهمه ومع هذا، فإن له مكانة خاصة في قلبي ربما لأنه مثير للجدل، وأنا أحب الشخصيات المثيرة للجدل وربّما لأنه حول الناقد من واعظ ممل، إلى نجم صحفي لامع.

قاسم حداد: شاعرية قاسم حداد أمر لا أشك فيه لحظة. ولكن قراءة شعره، لا تختلف كثيراً عن الضرب في أعماق «الفتوحات

المكية» وبقية طلاسم الصوفية. هذه النظرة «الصوفية» إلى الشعر لا أفهمها، ولكني أقدرها، خصوصاً في هذا الزمان الذي يحرص فيه الشعراء على اجتذاب أكبر قدر ممكن: من الشعبية، والأتباع، والمعجبين.

نزار قباني: لم يطرأ تغيير يذكر على رأيي في نزار قباني. فمنذ بدأت في القراءة له - وأنا مراهق - وحتى يومنا هذا، وأنا أعتبره شاعراً كبيراً، عبّر عن هموم العصر بلغة دخلت كل بيت. الذي تغير هو نزار قباني، فقد بدأ يكرر نفسه على طريقة «هوليوود». عندما ينجح فيلم «الشبح ١»، يصدر «الشبح ٢»، و«الشبح ٣». ألا ترى أن معظم شعر نزار قباني في العقدين الأخيرين هو: «هوامش على دفتر النكسة - ٢»، و«هوامش - ٣»؟!.



الفصل الثاني

الشاعر بين المكتب والمنزل

«مقابلة أجراها الأستاذ وهيب غراب

مجلة الشرق الأوسط - العدد: ٢٧/٢٠٩ يونيه/ ١٩٩٠م»

الدكتور/غازي عبدالرحمن القصيبي، وزير الصناعة والكهرباء، ثم وزير الصحة سابقاً، في المملكة العربية السعودية، وسفير السعودية لدى دولة البحرين، وسفير السعودية لدى المملكة المتحدة حالياً[1] هو أحد أبرز شعراء منطقة الخليج، والجزيرة العربية. له سبعة دواوين شعرية، هي: «أشعار من جزائر اللؤلؤ»، (بيروت ١٩٦٠م)، قطرات من ظمأ»، (بيروت ١٩٦٥)، «معركة بلا راية»، (بيروت ١٩٧١م)، «أبيات غزل»، (الرياض ١٩٧٦م)، «أنت الرياض»، «الحّمى»، (جدة ١٩٨٢م)، «العودة إلى الأماكن القديمة»، (البحرين ١٩٨٥م). وقد تضمنت مجموعته الكاملة التي صدرت في مطلع ١٩٨٨م هذه الدواوين السبعة.

وتشمل الأغراض الشعرية التي طرقها الدكتور القصيبي: الغزل، والرثاء، والوطنية، والقومية، والوصف، والوجدانيات، والمناسبات، والبيئة السعودية والبحرينية، وكان في مختلف هذه الأغراض شاعراً مطبوعاً رقيقاً، عميق التأثير والإحساس، خليجي اللهجة، عربي الصوت، إنساني المشاعر.

في هذا الحوار يتناول السفير الشاعر مختلف القضايا الأدبية، كما يتحدث عن جانب من حياته الخاصة.

(١) أي وقت إجراء الحوار، أما الآن فهو وزير العمل في المملكة.

؟ الشعر لديك مساحة - بلا حدود - من العطاء. كيف استطعت أن تحافظ عليها كل هذا الوقت؟

- السؤال يفترض أنك تستطيع التعامل مع الشعر، كما تتعامل مع قطعة تملكها من الأثاث، أو التحف وتسأل الإنسان: كيف استطاع المحافظة عليها؟ وكيف كان لها دور في حياته؟ إلا أنه بالنسبة للشعر لا يمكن أن يطرح السؤال بهذه الصورة. الشاعر لا يختار شعره، ولكن الشعر هو الذي يختار الشاعر، والشاعر لا يقرر أن يكون للشعر مساحة معينة في حياته، ولكن الشعر هو الذي يفسح للشاعر مجالاً - صغيراً أو كبيراً - في مملكته السحرية. أجدني دائماً أكرر القول: إنني لست سوى أداة طيعة في يد الشعر، هو الذي يقرر: متى يزورني، ومتى يهجرني، وليس لي أمام الشعر - وأنا لا أقول هذا الكلام من باب التواضع - إلا الانتظار حتى يقرر أن يزور، أو لا يزور.

× عندما جئت للبحرين سفيراً، كتبت لها أجمل قصائدك. هل هو الحب الذي يولد مع اللقاء؟ أم هو العشق القديم؟

- أنا - دائماً - أكره أفعال التفضيل لأنها تضفي على الوصف صورة من الحسم. لا أعتقد أن القصائد التي كتبتها للبحرين هي أجمل قصائدي، ولكن ربما تكون من أجملها. والسبب هو مدى صدق التجربة التي تحتوي عليها القصيدة.

بالنسبة لعودتي للبحرين كانت تحمل الكثير من العناصر المؤثرة، ذلك لأنني نشأت في البحرين طفلاً، ثم مراهقاً إن اللقاء

بالبحرين، لا يمثل مجرد لقاء ببلد من البلدان، وإنما يمثل لقاء بطفولة وصبا - بكل ما يحملانه من معانٍ وذكريات - ولهذا جاءت هذه القصائد تمثل لقاء الإنسان - كل إنسان - بأيام قديمة، عبرها، أو عبرت به، في أمكنة قديمة.

لم يكن الأمر رجوعاً إلى الأزقة، والشوارع القديمة فحسب، بل كان رجوعاً إلى الطفل الذي كان يوماً ما يلعب في هذه الأزقة، والشوارع. كلما تقدم بنا العمر، يصبح للماضي رونقه وبهاؤه،حتى إن الذين يتقدم بهم العمر، فيصلون إلى أرذله، لا يعودون يعرفون إلا الماضي وبالذات الماضي البعيد. والحنين إلى الماضي، أنتج أروع الأبيات، في تراثنا الشعري القديم.

❣ ما هي أحلى ذكرى عالقة في مساحة الذكريات مع البحرين؟

- الإنسان عندما يتذكر فترة الطفولة الأولى، والصبا، لا يتذكر حوادث بعينها، وإنما يتذكر - إن جاز التعبير - ثقافة، نوعاً من السلوك، أسلوباً من أساليب الحياة. وسوف أقدم أمثلة على ذلك:

العيد: كان للعيد - ليس في البحرين فحسب، بل في كل مكان - بريقه الخاص. كان العيد المناسبة الوحيدة التي يحصل فيها الطفل على حذاء جديد، وثوب جديد. العيد يرتبط - في الطفولة - بسعادة لا نجدها في الأعياد اليوم، ولا يجدها أطفال اليوم في أعيادهم.

وهناك - أيضاً - أسلوب الحياة القديم، عندما كانت العائلة - بأسرها - تنام في غرفة واحدة والإخوان الأربعة، أو الخمسة، يعيشون معاً في هذه الغرفة. الآن نمط الحياة أصبح فيه خصوصية، بحيث يعطى كل طفل غرفة خاصة - إن استطاع الأب إلى ذلك سبيلاً -، فذهبت تلك الروح الجماعية، التي تميز طفولتنا، وطفولة كل شخص من هذا الجيل.

كذلك أسلوب التزاور الاجتماعي - الذي كان معروفاً في تلك الفترة - اضمحل الآن ولا تزال له بقايا في المدن الصغيرة والقرى، بينما في المدن الكبيرة قد لا ترى جارك حتى في العيد ولا تسلم عليه.

كل هذه الصور لأسلوب من الحياة مضى الآن - ولم يعد ثمة سبيل لإرجاعه - هي التي تجعل لذكريات الطفولة زخمها، وطعمها، ونكهتها، أكثر من أي ذكرى فردية، لحادث فردي.



قصيدة الجسر

❢ كتبت رائعتك في افتتاح الجسر. وجودك في البحرين، والعلاقة القديمة، هل ولّدا قصائد جديدة؟.

- أولاً أحب أن أقول: ربما كان «الجسر» هو المنبر، أو المحفل، الذي ألقيت فيه القصيدة، ولكنها ليست قصيدة عن الجسر، أو بمناسبة الجسر، وقد قلت - أكثر من مرة -: إنني لا أؤمن بشعر المناسبات، بأن يكتب الإنسان قصيدة نشيد بمناسبة ما.

قصيدة الجسر تمثل النزعة الطبيعية لدى مناطق الخليج: في الالتحام، وفي التقارب، وإذا كنت عبرت عن هذه الفكرة: برغبة البدو والبحّارة في أن يعيشوا معاً، ورغبة الجزر والواحات في أن تتوحد، فهذا الشعور هو الذي أعطى القصيدة نكهة من الصدق، أكثر من كونها عن الجسر ذاته. جميع القصائد التي أكتبها، لا

أستطيع أن أربطها بمناسبة معينة، ولذلك لا أستطيع أن أقول: لأنني أقيم الآن في البحرين، فسوف أكتب، أو كتبت قصائد نابعة من إقامتي في البحرين. مصدر الشعر - دائماً - حياة الشاعر، وتجارب الشاعر، والأمكنة جزء من هذه التجارب، ولكنها ليست هي الجزء الأساسي. يصعب عليّ القول إنني كتبت قصائد معينة، لمجرد أنني الآن في البحرين. التجارب البشرية تدور طوال الوقت، وفي كل مكان.

❣ ما هي أحلى قصيدة كتبتها أثناء وجودك في البحرين، أو تترجم ذكرياتك في البحرين؟

- بالنسبة للشعر تعودت أن أترك الحكم عليه للآخرين، وكل قصيدة تكون أثيرة لدي لحظة كتابتها، شأن الابن الذي يكون عزيزاً حتى يكبر. لا أعتقد أن هناك قصيدة أدق، أو أكثر تصويراً، ولكن القراء اعتبروا قصيدة «العودة إلى الأماكن القديمة» هي التي تصور مشاعر اللقاء بالبحرين، أكثر من غيرها من القصائد، التي كتبت بعدها، أو قبلها.

❣ هل الإبداع - في اعتقادكم - انعكاس لحالة حب يعيشها الشاعر؟

- الإبداع هو انعكاس لتجربة، وليس من الضروري أن تكون تجربة حب. قد تكون تجربة جوع، أو تجربة خوف، أو تجربة نضال، أو تجربة شك، أو تجربة يقين، وقد تكون تجربة حب.

المعادلة – في الإبداع الفني والأدبي عموماً – تتكون من عنصرين: عنصر التجربة الصادقة، وعنصر الموهبة المصقولة، (وليس المهملة) فإذا اجتمع هذان العنصران، توفر الإبداع الفني، سواء في القصيدة، أو الرواية، أو القطعة الموسيقية، أو اللوحة. كل عناصر العمل الإبداعي، يمكن أن نختزلها في عنصري: التجربة، والموهبة.

❣ أي التجارب أثرت فيك، وأعطتك القدرة على الإبداع؟

– لا أستطيع أنا – ولا أعتقد أن غيري يستطيع – أن يصنف التجارب تصنيفاً من هذا النوع. معظم التجارب معقدة، كتعقيد الحياة نفسها. من هنا أرى خطأ التصنيفات التقليدية للشعر: كالهجاء، والمدح، والوصف؛ لأنها تصنيفات مصطنعة.

المتنبي مثلاً – في جميع قصائده، ومنها التي تصنف على أنها قصائد مدح – يتطرق إلى الحكمة، والغزل والوصف... إلخ.

التجربة التي يعبر عنها أي شاعر حقيقي، يندر أن تكون مجرد تجربة واحدة بسيطة، وحتى لو كانت تجربة حب، فالحب عالم كبير يزخر بالعواطف المتعارضة والمتناقضة. أحياناً يأتي مع الحب شعور بالغيرة، أو شعور بالخوف من فقدان المحبوبة، أو رغبة في تملك الشخص المحبوب أو رغبة في التسامح. وقد يعطيك الحب نافذة إلى آفاق أوسع، أو يضعك في سجن أضيق مما كنت عليه. تجربة الحب يندر أن تُوصّف وتُعَرّف بسهولة.

أكتب الشعر الحديث والتقليدي

❣ **يقول أحد النقاد: «إن غازي القصيبي يكتب الشعر الحديث، بأنفاس وقوالب الشعر التقليدي!، فماذا تقول؟**

- لقد ولدت في فترة شهدت تغييرات كثيرة، هي بداية الحرب العالمية الثانية، وبدأت أكتب في الخمسينات. وقد شهدت هذه الفترة الكثير من التيارات التجديدية، وبذلك كنت عرضة لهذه التيارات، فبدأت أكتب الشعر بنوعيه: الحديث، والتقليدي. لا أستطيع أن أحكم على نجاحي في أي منهما. عدد كبير من الأصدقاء يرى أن الشعر الذي أكتبه بالطريقة التقليدية أفضل من الشعر الذي أكتبه بالطريقة الحديثة. وفي مقابل ذلك: عدد كبير من النقاد والشعراء، يرون أن من الأفضل لي أن أقتصر على كتابة الشعر الحديث. وأنا - إلى الآن - أكتب النوعين، وبالنسبة نفسها.

القصيدة هي التي تختار الشكل. أحياناً أريد أن أكتب قصيدة من الشعر الحديث، لكني أجد أنه لا يمكن لهذه التجربة أن تظهر إلا على شكل قصيدة تقليدية وأحياناً أود أن أكتب قصيدة على الشكل التقليدي، ولكنها تأتي على النمط الحديث.

❣ ولكن أي نوع تفضل؟

- لا أستطيع التفضيل؛ لأني لا أجد نفسي في نوع دون الآخر. أحياناً أجد أن هناك أشياء معينة، يستحيل التعبير عنها بالشكل التقليدي رغم محاولاتي، وأحياناً أجد أن بعض المشاعر يخلُّ بها التعبير بالشكل التقليدي، وتتطلب الشكل الحديث. لذلك لم أستطع - في يوم من الأيام - فهم هذه الحرب الضروس القائمة بين الفريقين. إذا كان الإنسان يستطيع أن يعبر عن نفسه بوسيلة أفضل، ضمن نمط معين، فلنتركه. في النهاية يجمع الناس على أن الشعر الجيّد، هو وحده الذي سيبقى. هناك - الآن - ركام من الشعر التقليدي السيئ، وركام من الشعر الحديث السيئ، ونماذج مضيئة هنا وهناك، وأعتقد أنه بمرور الأيام، سوف تبقى النماذج المضيئة، أما بقية الأشياء فسوف تزول.

❣ هل تعتقد أن الشاعر يظل عاجزاً عن تحديد مساره في كتابة الشعر؟

- هذا الموضوع يقودنا إلى موضوع الالتزام، ولي فيه رأي لا يعجب كثيراً من الشعراء هو أني أرى أن الشاعر يجب أن يلتزم

بالصدق مع نفسه فحسب، دون أي التزام آخر: سياسي، أو اجتماعي، لأنه إذا التزم بهذه الأشياء، فسوف يتحول من شاعر، إلى كاتب منشورات سياسية، أو حزبية.

إذا كان المقصود بأنه لا يستطيع تحديد مساره، أن يكون ريشة تتقاذفها الظروف، فطبعاً لا ! لأن الشاعر يستطيع أن يحدد مسار حياته، كما يستطيع أي إنسان آخر أن يحاول تحديد هذا المسار، ضمن الظروف والعوامل التي تحيط به. ولكني أعتقد أنه لا يستطيع أن يحدد مساره الشعري، ويقرر أنه سيصبح شاعراً سياسياً، أو شاعر دعوة، أو شاعر غزل؛ لأنه إذا اتخذ قراراً من هذا النوع، فمعنى ذلك أنه أدخل على شاعريته وموهبته الكثير من القيود، التي لابد أن ينعكس أثرها سلباً على شعره.

❢ ما هو دور التجارب والمواقف التي يمر بها الشاعر - كإنسان- في تغيير مساره؟

- هذه الأشياء كلها تنعكس على شعره، ولكنها تنعكس بطريقة عفوية، ولا شعورية. ثقافة الشاعر - مثلاً - لابد أن تنعكس على أشعاره. الشاعر الذي جاب العالم، يختلف شعره عن الشاعر الذي لم يخرج من قريته، والشاعر الذي قرأ في التراث الإسلامي العربي، يختلف شعره عن الشاعر الذي لم يقرأ، ولكن يجب أن يأتي هذا المزيج، بطريقة عفوية، لا يحس بها القارئ، ولا يأتي بطريقة مفتعلة. ومع الأسف الشديد. أحياناً تجد شاعراً قرأ عن الشعراء

الصعاليك - عن عروة بن الورد مثلاً - فملأ القصيدة برموز مفتعلة ومصطنعة، عن عروة بن الورد، لكي يثبت أنه قرأ ! وأحياناً تجيء «الموضات» الأدبية، كأن نجد شاعراً قرأ للوركا، وبدون أي سياق يزج باسم «لوركا» ليثبت أن عنده اطلاعاً على شعر لوركا. هذه المحاولة تكون - دائماً - مفضوحة، وتبدو مصطنعة ومفتعلة.

إن الثقافة الحقيقية يجب أن تختمر في أعماق الشاعر، وعندما تظهر، تظهر لا على شكل استعراض للعضلات الفكرية، ولكن تنساق بعفوية مع التجربة، بحيث تشعر القارئ أن هذا الشاعر وراءه تجربة طويلة وعميقة، ولكن لا تشعره بذلك بطريقة مفتعلة وهذا أحد الفروق بين الشاعر العظيم، وبين الناظم.

❣ كتبت الشعر الحديث، وكتبت النثر، هل تختلف الدوافع والتأثيرات لكلٍ منهما؟ وهل يغني النثر عن الشعر دائماً وليس أحياناً؟

- الشعر الحديث ليس له علاقة بالنثر. الشعر شعر، والنثر نثر - والشعر الحديث لا يفصله عن الشعر التقليدي، إلا حرية أوسع في التصرف بالتفعيلات والقوافي، الفرق بين الشعر التقليدي، والشعر الحديث، هو أقل مما نتصور؛ لأن الشعر الحديث الحر، يجب أن يكون موزوناً - وهذا هو الشرط الأول - ويجب أن يكون فيه شيء من الالتزام بالقافية - وهذا هو الشرط الثاني - ومن هنا لا أجد أي مجال للمقارنة، بينه وبين النثر. أما إذا كنت تقصد ما

يسمى بـ «قصيدة النثر» فأنا لا أستطيع أن أعدها شعراً. قد تكون نثراً جميلاً، لكن يجب أن نسمي الأشياء بمسمياتها. أما السؤال: هل يغني النثر عن الشعر؟ فأعتقد أن في النثر روائع جميلة جداً، وهي نقطة لا أدري لماذا تغيب عن الأذهان. لا ينبغي أن يكون كل الناس شعراء ولا ينبغي أن يكون كل التعبير الأدبي شعراً. كثيراً ما أقرأ قطعة نثر تهزني، وتؤثر فيّ أكثر من قصيدة شعرية. وكثيراً تمر بي جملة عادية تهزني.

وهذا الشعور العام عند العرب، بأن الشعر أرقى من غيره من الفنون يعود إلى أسباب تاريخية. الناس كانوا لا يقرؤون في الماضي، وكان الحفظ أهم شيء لذلك اكتسب الشعر كثيراً من البريق. من حيث المبدأ قد تحركني قطعة موسيقية. أكثر من قصيدة، وقد أقرأ رواية، أو أقصوصة صغيرة، وتترك في نفسي أثراً كبيراً. قد أكون الشاعر الوحيد الذي يرى أن الشعر ليس له أي ميزة على أي نوع من أنواع الفنون الأخرى.

❢ هل يعني هذا أنك لا تقرر متى تلجأ إلى النثر كحالة؟

- النثر وضعه مختلف عن الشعر، لأن الشعر فيه عناصر مختلفة تماماً. في الشعر تحكم الإنسان بالتجربة وفي التوقيت يكاد يكون معدوماً، بينما في النثر تستطيع أن تكون أكثر انضباطاً من الشعر.

❣ لك ديوان شعر بالإنجليزية، هل عبرت فيه وصورت كما تفعل في الشعر العربي؟

- جميع القصائد التي كتبت في هذا الديوان كتبت أساساً باللغة العربية، لأنني لست شاعراً باللغة الإنجليزية، إنما بعد كتابتها ترجمت إلى اللغة الإنجليزية، وطبعي أن الترجمة فيها عقبات كبيرة جداً، وكما قال البعض: «أي ترجمة هي خيانة للأصل»، وقد حاولت أن أختار من القصائد ما يمكن ترجمته بسهولة، وكثيرون تساءلوا عن المعيار في اختيار القصائد، والمعيار - ولأول مرة أذكره - هو أنني اخترت تلك القصائد التي يمكن أن تترجم دون أن تفقد كثيراً من روعتها في الترجمة. وكما يعرف كل قارئ الموسيقا جزء أساسي من الشعر العربي إن لم تكن الجزء الأساسي، والموسيقى كلها تفقد في عملية الترجمة، ورأيي في الترجمة أن هناك أشياء يمكن أن تترجم رغم اختلاف اللغات، وهناك أشياء من العبث أن نحاول ترجمتها.

❣ إلى أي مدى حقق ديوانكم المترجم إلى الإنجليزية النجاح؟

- بالمعايير التي تقوم على اهتمام القراء، أعتقد أنه حقق نجاحاً لا بأس به، إذ طبعت منه طبعتان، ونحن بصدد طبعة ثالثة. واسمح لي أن أستطرد هنا فأقول: إن الصورة التي نشأت لدى العالم عنا، مرتبطة بالجمال والخيام، حتى ما قبل سنوات والآن

أصبحت صورتنا مرتبطة بالنفط فقد اختزل الوجود العربي في وسائل الإعلام الغربية والعالمية، إلى أن يكون العربي راعي جمل في الماضي، أو صاحب برميل نفط في الحاضر وهذه الصورة – طبعاً – تلغي هويتنا، وتلغي حضارتنا، وتلغي تميزنا.

بالإضافة إلى محاولة الترجمة هذه، هناك محاولة أخرى: «قوافي الجزيرة»، ترجمت فيها أبياتاً من الشعر العربي القديم. ومحاولة ثالثة مع شاعرة أسترالية، في كتاب صدر مؤخراً، يحمل حوالي تسعين قصيدة، من جميع البلدان العربية، ترجمت إلى اللغة الإنجليزية.

كل هذه المحاولات تهدف إلى إظهار التنوع الحضاري، الذي ميز الحضارة العربية الإسلامية، قبل أن تكون لنا علاقة بما يجري في «أوبك»، أو ما يدور حول أسعار البترول.

العربي المسلم كان غنياً بدينه، وحضارته، وتراثه قبل أن يكون غنياً – في الوقت الحاضر – بنفطه، وهذه الصورة يجب أن نركز عليها، حتى تستقر في أذهان العالم.

؟ هل نعتبر عدم رغبتك في فتح مناوشات جانبية، في كتابك «في رأيي المتواضع» هروباً من الدفاع عن نفسك في الكتاب؟

– لا. أنا من المؤمنين بأن «النقاش» كثيراً ما يتحول إلى «جدل» والجدل – بطبيعته – يعتمد على براعة لفظية، وبراعة فكرية، ليس

لها علاقة بـ «جوهر» الموضوع بعبارة أخرى: إذا أتيت بإنسان بارع في الجدل، وأعطيته أي قضية - ولو كانت ضعيفة - قد يستطيع - عن طريق براعته الجدلية - أن يحولها إلى قضية ناجحة.

وفي جامعات الغرب، هناك جمعيات الجدل. وكل طالب يدربّ قدراته، فيدافع عن الموضوع، ثم يهاجمه. الجدل ليس له علاقة بالنقاش، وقد وجدت أن أكثر محاولات النقاش، تنتهي بالجدل، والجـدل يفوز فيه الأكثر حدة في اللسان والأبـرع في استخدام الفكاهة - - إذا كان الجدل علنياً - والأقدر على وضع خصمه في مصيدة لفظية، أو جدلية.

وقد وجدت أن الموضوع الذي يبدأ نقاشاً، ثم يتحول إلى جدل، كثيراً ما ينتهي إلى مهاترات. لا يكاد أي موضوع يبحث، إلا وجدت العوامل الثلاثة: يبدأ بنقاش موضوعي لا بأس به، ثم يتحول إلى جدل، ثم يتحول إلى مهاترة والغريب - في نهاية الأمر - أن موضوع النقاش، وحتى موضوع الجدل ينسى ولا تبقى إلاّ المهاترات الشخصية. وجدت - بالتجربة - أن هذا كله مضيعة للوقت. أبدي رأيـي، ويستطيع كل إنسان أن يبدي رأيـاً معارضاً، فإذا رجعت لأناقض هذا الـرأي، ورجع من يعارضني، قضينا السنين في هذا الجدل العقيم وهذا الجدل خطر ينزلق إليه كثير من الناس، عدد من أعظم العمالقة في تاريخنا - سواء القديم، أو الحديث - قضوا جزءاً غالياً من أعمارهم في الجدل، كان أجدر ألا يقضوه في هذا

المجال. خذ مثلاً المعارك التي دارت بين طه حسين، وزكي مبارك، ومصطفى صادق الرافعي، لقد كانت أوقاتاً ضائعة من العمر ليتهم خصصوها لما هو أجدى.

عندما أكتب قصيدة أتركها للناس، منهم من يرضى عنها، ومنهم من لا يرضى، ولكني لا أعود مرة أخرى لأتساءل: لماذا لم يرضوا عنها؟ ولأناقش هذا الناقد على أساس أنه خاطئ وكذلك عندما أطرح رأياً، أتركه للقارئ؛ لأن الأجدى - في رأيي - أن أنتقل إلى رأي جديد، بدلاً من أن أحاور - وأنا في مكاني - مع الرأي القديم.

❢ ولكن إلى أي مدى أنت حريص على متابعة المناوشات الجانبية، رغم رغبتك في عدم الدخول فيها، ولكن لأنك من خلالها قد تكتشف أن هناك ما يفيدك؟

- من حيث المبدأ النظري هذا وارد، ولكن من حيث المنطق العملي يندر أن تجد «معركة» تأتي بشيء: لأن الإنسان يبتدئ بموقف معين، وينتهي بنفس الموقف.

خذ الآن جدلية الشعر الحديث، والحداثة، والحداثيين، فعبر الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية، هل هناك غير الكلام المكرر القديم حيث يعبر كل طرف عما لديه، ويتطور الأمر إلى جدل، وينتهي إلى مهاترة؟

في الوقت الحاضر أكثر ما يدور من نقاش حول هذه المواضيع: الحداثة، والأصالة، والشعر الحديث، يصعب أن نسميه بأي اسم آخر سوى «المهاترات».



الفقر في الإنتاج

❣ **هل هذه هي السلبية الوحيدة التي نعاني منها اليوم: في مجال الشعر، والنثر، والأدب؟**

– أعتقد أن السلبية الأساسية الآن هي: الفقر في الإنتاج. النقاد لا ينقدون وإنما يكتبون كتباً عن طبيعة النقد. والشعراء لا يكتبون شعراً، وإنما يخوضون معارك، أو يؤلفون كتباً نثرية عن الشعر. أعتقد أن هذا الفقر الفكري، هو الذي يدعو الإنسان إلى أن يدخل في مناوشات. لو وُجد عندنا شعراء ينقطعون لكتابة الشعر، دون الدفاع عن مدرسة معينة في الشعر، ولو وُجد عندما نقاد يكرسون طاقاتهم الفكرية للنقد، بدلاً من النقاش في ماهية النقد لتحسن الوضع. مثلاً النقاش الذي يدور الآن حول البنيوية. أنا شخصياً لا أعرف ما هي البنيوية وأعتقد أن ٩٩٪ من الناس لا يعرفون ما هي

البنيوية، ولا يهمهم أن يعرفوا، وأفضّل من كل واحد يؤمن بالبنيوية، أن يؤلف لنا كتاباً مبنياً عليها، كما فعل الدكتور عبدالله الغذامي، عندما أنتج لنا كتاب «الخطيئة والتفكير». ومهما كان رأينا فيه، فالكتاب فيه مجهود جيد عن شاعر سعودي رائد، بدلاً من أن ندخل في جدل ومهاترة عن المدارس.

لو طبق كل إنسان ما يؤمن به من آراء في عمله - بسكوت وبصمت - وترك الحكم على العمل للآخرين، لخدم بذلك الفكرة التي يؤمن بها، أكثر مما لو كتب كتابا كاملاً في شرحها. المشكلة الآن أن الإنتاج بدلاً من أن يكون أدباً، أصبح كلاماً عن الأدب، الآن نتحدث عن الشعر، بدلاً من أن ننتج شعراً، نتجادل عن النقد، بدلاً من أن ننتج نقداً، وأتصور أن هذه هي السلبية الأساسية، في الحياة الأدبية عموماً في العالم العربي.

❣ شعر الشباب إلى أي مدى أنت حريص على متابعته؟

- لا أعرف شعر الشباب، ولا شعر الشيوخ، أنا أعرف الشعر فقط. وقضية شعر الشباب، وشعر الشيوخ، قضية مصطنعة فالشابي توفي وهو في السادسة والعشرين، وترك ديواناً ضخماً. و«كيتس» توفي قبل أن يبلغ الثلاثين، وطرفه بن العبد توفي قبل الخامسة والعشرين.

إن النبوغ لا يصنف بعمر معين، ولم أفكر في حياتي، قبل أن أقرأ القصيدة، هل صاحبها شاب يستحق التشجيع، فأحرص على

متابعة إنتاجه. الشباب يوماً ما سيصبحون شيوخاً، والشيوخ كانوا في يوم من الأيام شباباً، وفي نهاية المطاف لا يبقى لنا إلا الشعر.

عندما أقرأ قصيدة لا يهمني: هل كتبها الشاعر وعمره ثمانون سنة، أم ثماني سنوات. هذا قد يهم المؤرخ، وعالم النفس، ولكن - كقارئ - لا يهمني.

كثير من الأعمال الأدبية الخالدة، كتبت في سن مبكرة جداً، وكثير من الشيوخ نضبوا مع مرور الزمن. لا يوجد في قاموسي شعر شباب، منفصل عن الشعر عموماً. والكلام نفسه ينطبق على الشعر النسائي لا يوجد عندي شعر نسائي، أو شعر رجالي. عندما أمر بشعر جيد، فهذا يكفيني، دون أن أسأل إن كانت قد كتبته امرأة، أو كتبه رجل. هذا يأتي في الدرجة العاشرة من الأهمية.

❣ ولكن ألا تعتقد أن فارق العمر، أو فارق السن، يتيح للشاعر، أو الشاعرة، المرور بتجربة تخلق لديه قدرة على الإبداع بشكل أكبر؟

- هذا من دعاية الشيوخ والكهول، ولا ينطبق - في رأيي - على الواقع. والتجربة يجب أن تقاس بعمقها وحدتها، بقدر ما تقاس بطولها، وبحجمها الزمني. أنا لا أرى شيئاً يحول دون أن يكتب شاعر في الخامسة عشرة، أو السادسة عشرة من عمره، قصيدة رائعة جداً، وتحمل الكثير من العواطف البشرية، مع أننا قد نفتقد فيها بعض العناصر، باعتباره لم يتسنّ له أن يحصل على الثقافة

الكافية بعد. معيار العمر بالنسبة للشاعر - والفن عموماً - ليس بالمعيار الصحيح.

هناك سيمفونيات كتبت قبل أن يبلغ أصحابها سن المراهقة.

❣ هل تعتقد أن المرأة تمتلك القدة على الإبداع في الشعر، إلى حد كبير، أكبر من الرجل؟

- هناك فروق فسيولوجية بين الرجل والمرأة، ولكن لا أعتقد أن هذه الفروق لها أي دخل - من قريب، أو من بعيد - بالشعر والإبداع الفني. أعتقد - من حيث المبدأ - أن المرأة قادرة على الإبداع الفني بشتى صوره، كمقدرة الرجل، ويبقى الفرق، وهو أن الظروف والفرص المتاحة للرجل - سواء كانت فرص التعليم، أو فرص النشر، أو فرص الظهور، أو فرص الشهرة - أوسع بكثير من الفرص المتاحة للمرأة. هذا - في رأيي - يفسر الانخفاض النسبي، في الإنتاج الأدبي الأنثوي، وليست الفروق الفسيولوجية الفطرية بين الرجل والمرأة.

❣ هل هذا يعني أنك حريص على متابعة ما تكتبه الشاعرات؟

- أنا لست حريصاً على متابعة أي شيء: لا شعر الشباب، ولا شعر الشيوخ، ولا شعر الكهول أنا أقرأ ما تحت يدي، وما تقذف به الظروف إلي فأنا لست ناقداً محترفاً: لا أرصد الحركة الأدبية، ولا أرصد التوجهات، ولا أرصد المسار. أنا قارئ عادي، عندما تمر بي

قصيدة تستوقفني، أطرب لها، وأعيد قراءتها، ولا يهمني – على الإطلاق – من كتبها: شيخ، أم شاب، أم امرأة، أم فتاة صغيرة، هذا كله لا يعنيني. ونحن عندما نقرأ في التراث شعراً رائعاً، لا يهمنا إلا هذا الشعر. هل يهمنا أن المتنبي كتب قصيدة معينة وعمره كذا؟ وأن أبا تمام كان ما نعتبره وزير البرق والبريد في تلك الأيام؟ وأن ابن المعتز كان ولي عهد المسلمين في دولة ما؟!

في مقياس الأدب هذه الأشياء لا تبقى، بل تتطاير، ولذلك لا أفهم هذه الأسئلة: هل أثرت الوزارة في شعرك؟ هل أثرت السفارة في شعرك؟ هل أثر هذا أو ذلك في شعرك؟ أنا أعتقد أن هذه كلها يوماً ما ستزول، ولا يبقى إلا الشعر، والسؤال الحقيقي واحد: هل أمامنا شعر يستحق أن يبقى أم لا؟

كل الصفات الأخرى: هذا شعر وزير، وهذا شعر سفير، وهذا شعر امرأة، وهذا شعر شيخ، وهذا شعر شاب، وهذا شعر حداثي – كلها صفات من قبيل الزبد الذي يذهب جفاءً إن لم يذهب اليوم، فغداً، أو بعد غد.

❣ هل تحرص على قراءة كل ما يردك كإهداء؟

– هذا مطلب عسير لأنه تصلني أشياء كثيرة كإهداء ولكني أجد أن من حق كل ما يصلني من الشعر والنثر، أن أقرأ الصفحات الأولى منه، وهذه الصفحات الأولى تحدد المصير، وفي الأغلب أقف عندها ولا أكمل. وفي الحالات التي أرى فيها شعراً جيداً. أو نثراً

جيداً، أواصل قراءة الكتاب. أنا أقرأ للمتعة، ولا أقرأ لأسباب تتعلق بالحرفة؛ فأنا لست أستاذاً للنقد، أو الأدب، أو محرراً لصحيفة أدبية، ولا أجد ما يجبرني على قراءة شيء ما. أنا أقرأ لأجد المتعة الفكرية، وإذا لم أجد المتعة الفكرية التي أنشدها مع الصفحات الأولى من الكتاب - سواء كان كتاب شعر، أو نقد، أو أقاصيص، أو رواية - تركته. وحتى إذا نظرت إلى فيلم سينمائي، أو برنامج تلفزيوني، إذا لم يستطع اجتذابي بعد الدقائق الأولى، أتركه.

الاستمتاع بالفن، لا يمكن أن يكون وسيلة تعذيب، ولا يمكن أن يشقي الإنسان نفسه في سبيل أن يقول: إني قرأت. ولهذا فأنا لا أستطيع أن أفهم الذين يقولون: إن الذي يريد أن يتذوق شعرنا، عليه أن يتصارع مع القصيدة، ويقضي ساعات، ويبذل مجهوداً فكرياً لكي يفهم معاني القصيدة، أعتقد أن هذا منطق غريب جداً لأن الناس - عموماً - لا يقرؤون الأدب إلا للمتعة الفكرية، فإذا انعدم التفاعل، انعدمت المتعة الفكرية، ومن السخف أن يعذب الإنسان نفسه بقراءة شعر سخيف، أو رواية ركيكة.

❢ هل وجدت نفسك مرة أمام الرغبة في الرد، بعد التفاعل مع قصيدة قرأتها؟

- عفو الخاطر، لا أستطيع أن أفكر في أمثلة عن قصيدة بمجرد قراءتها انفعلت، إلى درجة أنني كتبت قصيدة على الفور. من حيث المبدأ لا يوجد ما يمنع أن يحدث هذا مستقبلاً.

❣ إلى أي مدى تتحمل آراء الأدباء، أو قارئي شعرك؟

- هذا الموضوع تغير بمضي السنين. عندما كنت في حوالي العشرين، ونشرت ديواني الأول، كنت حريصاً على أن يُقرأ شعري، وكنت أجمع ما يكتب عنه، وأنزعج من النقد. غير أني أجد أنه - بمرور السنين - قد تكونت لدي حصانة شبيهة بالحصانة الدبلوماسية، هي حصانة نقدية، فلا أكاد أجد فرقاً بين ما يكتب في مدح شعري، وبين ما يكتب في نقده. بل على العكس، إذا وجدت القطعة مملوءة بالتقريظ المفرط، لا أستطيع أن أكملها، ولهذا لا أرد على أحد، ولا أذكر أنني - في حياتي كلها - رددت على إنسان انتقد شعري، إلا مرة واحدة، كانت مع الشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري، وقد كانت مجرد مداعبة لغوية.

❣ ما هي القصيدة التي كتبتها، وتتغنى بها دوماً؟

- هذه دائماً تكون موضع تغيير، وأعتقد بالنسبة لي ولأكثر الفنانين والأدباء والشعراء والرسامين - أن آخر إنتاج - عادة يحتل مكاناً خاصاً، إلى أن يأتي إنتاج آخر، ويحل محله.

❣ أي تجربة مررت بها، وأثرت فيك بشكل قوي؟

- تجربة الحياة - بكل غناها، بكل زخمها - هي التجربة الأساسية في إنتاجي، ولكن إذا كان لابد من أن أشير إلى تجارب محددة، فأنا أشير إلى تجربتين: إحداهما على المستوى القومي، والأخرى على المستوى الشخصي.

الأولى كانت هزيمة حزيران، وقد كانت بمثابة زلزال نفسي، هز كثيراً من المرتكزات التي كنا - كعرب - نؤمن بها، ووضعتنا - لأول مرة بشكل صارخ أمام ضعفنا، وأمام انقسامنا، وأمام تخلفنا. هذه التجربة تركت آثاراً لا تنسى في نفسي، وفي تفكيري، وحتى في شعري.

أما التجربة الشخصية، فكانت وفاة شقيقي «نبيل» - رحمه الله - وكان في الرابعة والثلاثين، وكنت في الثامنة والعشرين، أو نحوها.

الموت عندما يأتي إلى شخص كبير السن، أو مريض، يكون له وقع أخف، باعتباره لا يأتي مع عنف الصدمة والمفاجأة. ولقد كانت وفاة شقيقي في ظروف غير متوقعة، تركت - بدورها - زلزالاً نفسياً، وخلفت في شعري، وفي نفسي، بصمات ما زالت باقية حتى اليوم.

❢ من الصعوبة أن يبكي الرجل، وكشاعر: هل شعرت في يوم من الأيام أنك بحاجة إلى البكاء؟

- لماذا توجد لدينا هذه الصورة غير الإنسانية للرجل؟ ولماذا نقول كلمات تجري مجرى الأمثال، وتؤخذ كأنها حقائق مسلم بها، من ضمنها أنه من العيب أن يبكي الرجل؟ أنا لا أعتقد هذا، بل على العكس، أعتقد أن الرجل لا يعيبه أن يبكي، بشرط ألا يكون

كطفل رضيع، يبكي كل خمس دقائق، ويتسبب في أزمة «كلينكس» في مكتبه.

لا أرى ما يخل بشموخ الرجولة، وعنفوانها، وكبريائها، في بكاء الرجل، وخير البشر، وسيدهم جميعاً، قد بكى، ودمعت عيناه، عندما تُوفي ابنه إبراهيم، وقال: «العين تدمع، والقلب يحزن...». كل هذا لا يعني أنني أبكي يومياً ولكني لا أعتبر البكاء من الأشياء المخلة برجولتي.

في الشهر الأخير مرت عليّ مناسبتان للبكاء: إحداهما حزينة - وهي وفاة صديق عزيز - والثانية سعيدة - وهي عقد قران ابنتي - وفي الحالتين لم أجد أي حرج في أن أترك المجال للدموع.

إلى أي مدى تفاعلت بزواج كريمتك؟

- إلى المدى الذي رأيتموه في القصيدة: «طفلة الأمس هذي؟».

أي القضايا تؤلمك؟

- قضية الجوع في العالم. يؤلمني أنه - في اللحظة التي نتحدث فيها - هناك عشرات الأطفال، يموتون كل دقيقة، بسبب نقص الغذاء والجوع وأعتقد أن هذه هي قضية القضايا. ونحن - بفضل الله وحمده - لا نعاني منها، ولكن آلاف الملايين يعانون منها.

الإنسان الجائع هو وصمة في جبين الإنسانية كلها، وهذه القضية هي القضية الرئيسة، التي يجب أن تتعامل معها البشرية، في القرن الحادي والعشرين الميلادي.

أريد للبشرية أن تبلغ مستوى الكرامة، التي قدرها الله لعباده، عندما قال في محكم كتابه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾. قضية الجوع يجب أن تحسمها البشرية، وكل القضايا الأخرى ستكون فرعية.

إذا انتهت قضية الجوع، انتهت قضية الأمية، والانفجار السكاني، وتعثُّر عملية التنمية. ولو تتبعت كل هذه القضايا إلى جذورها، لوجدت لها جذراً واحداً، هو الفقر المدقع، الذي عبرت عنه بالجوع، ومن هنا يجب أن يكون الشغل الشاغل، في هذا القرن، والذي يليه.

❢ تجربتك في رعاية المعوقين، ماذا تركت لديك؟

- تركت عندي تسامحاً لم يكن موجوداً من قبل؛ لأنها كانت تجربة غنية جداً. نحن البشر العاديين - بطبيعتنا - ننفر من كل ما هو غير معتاد. الشخص المصاب باختلال عقلي يفر الناس منه، والأطفال المصابون بتخلف عقلي، كثيراً ما ينظر إليهم نظرة خوف وانزعاج، وكان في الماضي يقفل عليهم.

التجربة هذه كانت رائدة جداً لأنها أظهرت المشكلة للعيان، وأصبح وجود طفل معوق في الأسرة أمراً لا يدعو للفضيحة ولا يدعو إلى الخجل ولا يدعو إلى العار وكان هذا أكثر ما في التجربة من إيجابيات، سواء بالنسبة لي شخصياً، أو بالنسبة للمجتمع ككل.

❣ ما الفرق بين الوزير والسفير الدبلوماسي؟

- الموضوع يتعلق بحجم القرارات المتخذة. الوزير عادة ما يكون في قمة هرم تنظيمي كبير. أي وزير لابد أن يكون مسؤولاً عن آلاف الأشخاص، والقرارات التي يتخذها يجب أن تكون من حجم معين، ومن طبيعة معينة، ونجاحه يعتمد - أساساً - على القدرة على اتخاذ القرار. والفرق بين الوزير الناجح، وغير الناجح، هو في هذه القدرة على اتخاذ القرار.

بينما العمل الدبلوماسي ليس فيه هذا الجانب الإداري. العمل الدبلوماسي يعتمد على قدرة ذاتية عند الإنسان، في التعامل مع الدولة المضيفة، وفي شرح سياسة حكومته، ورعاية مصالح المواطنين. وبعبارة أخرى، نحن نتحدث عن نوعين من العمل: النوع الأول: يتطلب القدرة على اتخاذ القرارات - والقرارات الكبيرة بوجهٍ خاص -. والنوع الثاني: يتطلب المقدرة الذاتية على الشرح والإقناع. وقد تجتمع الصفتان في الشخص نفسه، وقد لا تجتمعان، وليس من الضروري أن يكون الوزير الناجح سفيراً ناجحاً، ولا السفير الناجح وزيراً ناجحاً.

❣ تجربتك مع الدبلوماسية، ماذا أعطتك؟ وماذا أعطيتها؟

- سواء كنا نتكلم عن الدبلوماسية، أو عن الوزارة، أو عن الصداقة، أو عن الحب، أو عن الحياة عموماً - أنت لا تأخذ، إلا

بقدر ما تعطي. وهناك قانون – في رأيي – لا يخيب أبداً: «أنك بقدر ما تعطي، تأخذ».

إذا نظرت إلى أي عمل على أنه تجربة غنية، وخصصت له كل ما تملك من طاقات، فسوف تجد أن هذا العمل يحقق لك كثيراً من الرضا النفسي والسعادة. وإذا نظرت إلى أي عمل – مهما كان هذا العمل – على أنه روتين، وأنه مفروض عليك، وعذاب لابد من قضائه، فسوف يصبح هذا العمل مملاً كائناً ما كان. وأنا أعتقد أن هذا القانون يسري على كل شيء في الحياة. الأعمال لا تختلف، ولكن البشر يختلفون. تجد العمل نفسه يؤديه إنسان بنفس سمحة، وبوجه طلق، وبأسارير متهللة، ويحصل من هذا العمل على كثير من الرضا، بينما غيره لا يحصل على شيء لأنه يأتيه بعقلية مختلفة، يأتيه بعقلية الأخذ.

إذا نظرت إلى الحياة على أنها عملية أخذ، فسوف تظل طول عمرك محروماً، ومهما أخذت، فلن تشبع من الأخذ. أما إذا نظرت إلى الحياة على أنها عطاء، فالعطاء – في حد ذاته – هو الذي يحقق لك السعادة. ومن هذا المنطلق، لا أعتقد أنه يهم جداً طبيعة العمل، أو طبيعة الصداقة، أو طبيعة الحب، إنما يهم طبيعتك أنت. إذا كنت ترى التجربة تجربة للعطاء، فستكون تجربة سعيدة، وإذا كنت تنظر إليها على أنها للأخذ، فإنها ستكون تجربة شقية.

❣ متى تغضب؟ وإذا غضبت ماذا تفعل؟

- هذا الموضوع - أيضاً - أعتقد أنه بدأ يتغير بمرور السنين. والآن أصبحت الحالات التي أشعر فيها بالغضب الشديد حالات نادرة لا تكاد تذكر. والأشياء التي تسبب لي الغضب، معروفة ومتوقعة عند كل من يعرفني. فمثلاً أغضب عندما يعدني إنسان بشيء، وأعتمد على هذا الوعد، وأبني عليه التزامات عدة، وارتباطات، ثم لا يتحقق الوعد، هذا الشيء يغضبني بعكس الخطأ العابر.

في تعاملي مع أولادي هناك أشياء لا تغضبني. مثلاً إذا الطفل كسر أثمن وعاء في البيت، لا يغضبني هذا الشيء إطلاقاً لكن إذا ضرب أخاه من الخلف مثلاً، فيمكن لهذا العمل الصغير أن يغضبني أضعاف ما يغضبني أي عمل من أعمال الشقاوة التقليدية. من حسن الحظ أن حالات الغضب قليلة، والغضب لا يستمر طويلاً، بضع دقائق ثم يتبخر.

❣ هل تعتبر نفسك رجلاً متسامحاً؟

- مرة سألوا الناس في إنجلترا: هل أنت خفيف الدم؟ فأجاب ٩٩٪ منهم بـ «نعم!»، ودائماً يسألون ممثلات السينما: ما هي عيوبك؟ فتقول الواحدة منهن: أهم عيوبي الصراحة وأهم عيوبي الكرم والسخاء وأهم عيوبي الطيبة، وحب التسامح، وحب الناس. وهذا السؤال من هذا القبيل فإذا قلت لك: نعم، أنا متسامح،

فقد ضممت نفسي إلى هذه القافلة من كبار الشخصيات الأنثوية والمذكرة. يجب أن يجيب عن هذا السؤال الآخرون الذين يتعاملون معي، فهم أقدر على ذلك مني.

❢ كم ساعة تعمل في اليوم؟

- في الوقت الحاضر أعمل بما يتراوح ما بين ٦ و٨ ساعات يومياً. غير أني أرى أن كل عمل لا يمكن أن يقاس بمقياس الزمن. مثلاً لو قضيت ثلاث ساعات في حفل استقبال، فهذه الساعات تكاد تكون مجهوداً ضائعاً، وعشرون دقيقة في كتابة تقرير أجدى منها. العمل لا يمكن أن يقاس بالساعات، ولكن بالنتيجة.



أشعب رحمه الله

❣ ما هي الأشياء التي تجعلك تشعر بالملل في العمل الدبلوماسي؟

- كل عمل لا يخلو من جوانب مملة بالتأكيد، وكل عمل - مهما كان عالياً ومرتفعاً وظيفياً - لا بد أن تكون له جوانبه الروتينية. والجوانب الروتينية الآن، تكاد تكون نفس الشيء في كل عمل. وأعتقد أن كل إنسان يمل من الولائم والمآدب، ولا أعرف إنساناً يرحب بكل دعوات الغداء والعشاء التي تصله، إلا إذا كان أشعب - رحمه الله -. وفي العمل الدبلوماسي ربما كانت كثرة الدعوات والولائم وحفلات الاستقبال تستنزف طاقة كنت أفضل لو كرستها لشيء آخر.

❣ متى تشعر أن على الإنسان أن يرتاح من العمل؟

- أنا من المؤمنين أن الإنسان - مهما كان عمله مهماً - يجب أن يجد قسطه من الراحة. يجب عدم السماح للعمل بأن يسلبه حياته بأكملها. وأنا في وقت راحتي لا أحب أن أدخل في عمل إطلاقاً، وعندما أذهب في إجازتي السنوية، لا أتصل - إطلاقاً - بمركز عملي، ولا أريد أن يعرض علي قرار واحد، أو ورقة واحدة. أيضاً عندما أكون في بيتي، أترك العمل وراء بوابة المنزل. عندما أكون في عالمي الخاص في منزلي، لا أحب أن يقتحم عليّ المنزل العمل أو أي أشياء أخرى مرتبطة به. لكي تكون منتجاً في عملك، يجب أن تكون قادراً على أن تعطي نفسك حقها من الراحة الجسدية.

❣ ما هو دور المرأة في حياتك؟

- دور المرأة في حياة كل إنسان، دور أساسي، فإذا سلمنا أن البيت هو مملكة المرأة، وأن الرجل يقضي معظم حياته في البيت، فمعنى ذلك أن بوسع المرأة أن تحول البيت إما إلى جنة مصغرة، وإما إلى جحيم مستمر.

أكثر الرجال الذين يهاجرون من بيوتهم إلى المقاهي، أو بيوت زملائهم، أو لعب الورق، أو لعب الطاولة، أو السفر يدفعهم إلى ذلك أنهم لا يجدون راحة نفسية في منازلهم. وبالعكس الأشخاص الذين يقضون أوقاتاً طويلة في منازلهم. وأنا أعتبر نفسي سعيداً لأنني أستطيع أن أقضي وقتي بأكمله في المنزل، دون أن أشعر بأي رغبة، أو دافع للخروج.

؟ ما هو الأسلوب الذي اتبعته في تربية الأولاد؟ وإلى أي مدى يوجد تقاسم في السلطة، بينك وبين زوجتك؟

- تربية الأولاد يجب أن تكون مسؤولية مشتركة، ويحدث خطأ كبير جداً في تربية الأولاد - هذه الأيام - عندما يتخلى الأب عن دوره في المسؤولية، ويعتقد أن واجباته المادية تغني، فيتصور أنه إذا أحضر مربية، وأدخل ابنه في مدارس خاصة، قد قام بواجبه هذا خطأ جسيم جداً نحن نعرف من دراسات علم النفس، أن الطفل يولد وهو صفحة بيضاء، فيمتص التجارب من الذين حوله. لابد أن تكون هناك صفات يكتسبها من الأب، وصفات يكتسبها من الأم، سواء كان الطفل ذكراً أم أنثى. يحدث خلل كبير جداً في نفسية الطفل، وفي سلوكه، إذا طغى جانب على جانب. يجب أن يكون دور الأم هو الدور الأقرب والمباشر، ويجب أن يكون للأب دور مختلف. مثلاً نحن بدأنا تقسيماً واضحاً في تربية الأولاد من أول يوم، فالشؤون اليومية اللصيقة بحياة الطفل، من اختصاص الأم، ومع ذلك لا أعتقد أنني عشت يوماً واحداً بعيداً عن حياة الأولاد: عن دراستهم، عن معايشتهم.

تأتيك فترة يجب أن تبذل فيها جهداً أكبر، لكي تعلم الابن الأنماط المرتبطة بالرجولة، يجب أن تدربه على الرجولة، فالرجولة فن، شأنها شأن أي فن آخر. لا أستطيع أن أترك الطفل مع مربية، أو حتى مع أم، وأتوقع من هذا الطفل أن يتحول إلى رجل. إن أطفال

البادية يتحولون إلى رجال في سن مبكرة لأنهم دُرّبوا.

عندنا - في البيت - تقسيم واضح للعمل، فالأشياء اليومية هي من اختصاص الأم، والأشياء المتعلقة بالجزاء والحساب، هذه من اختصاصي للأسف الشديد وكلما كبر الأطفال، انعدم عنصر العقاب.

هذه المشاركة في تربية الأولاد، هي التي يأمل الإنسان من الله - سبحانه وتعالى - أن تنتج في المستقبل أولاداً بشخصيات متزنة، بشخصيات متناسبة، لا يوجد فيها انفصام، ولا يوجد فيها عدم توازن، نتيجة طغيان عناصر معينة على عناصر أخرى.

❣ هل تعتقد أنه لابد من الحزم الشديد في تربية الأولاد؟

- الحزم أمر مختلف عن الشدة. الشدة أمر ليس له لزوم إطلاقاً لأن الشدة تعني أنك تستطيع أن تقوم بعمل، بأكثر من أسلوب، ثم اخترت أسلوب الشدة وهو أمر مرفوض. الرسول ﷺ يقول: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه». أنا لا أؤمن بالشدة، ولكن الحزم أمر ضروري جداً لأن الطفل - خصوصاً في المراحل الأولى - يتوقع من أبيه أن يتخذ مواقف واضحة، فإذا جاءك الطفل وقال: أبي هل أذهب للعب، وقلت له: «أفكر، تعال بعد عشر دقائق، أو ربع ساعة»، فهذا يتنافى مع الحزم، ويحدث خللاً في تفكير الطفل. إذا عاملت الطفل على نحو غير واضح، تعاقبه اليوم على خطأ، ثم لا تعاقبه غداً على الشيء نفسه، وتسمح له به

هذا عدم وضوح في الرؤية، سوف يكون له أثر سيء على الطفل. الطفل يستقي معلوماته من الأب والأم، فإذا كانت الإشارات التي تصل إليه غير واضحة ومتضاربة، فسوف يصاب بنوع من الحيرة، ولا يعرف التصرف السليم. الحزم أمر ضروري جداً في التعامل مع الأطفال، أما الشدة فهي أمر ليس له من داعٍ، إلا في أحوال نادرة، تقدر بقدرها.

❣ هل تميل إلى اصطحاب أولادك، وقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم خارج البيت؟

– أنا أقضي كل عطلي – سواء السنوية، أو نهاية الأسبوع – معهم، أما موضوع خارج البيت، أو داخل البيت، فهذا موضوع يعتمد على الظروف، ولا تنس أن موضوع الأطفال موضوع له طرفان، ولا يكفي أن ترغب أنت في الجلوس معهم، يجب أن تكون لديهم هم الرغبة في أن يقضوا الوقت معك. والأطفال – في سن معينة – قد تكون لهم أشياء كثيرة، أهم – في نظرهم – وأمتع وأكثر إثارة من قضاء وقت مع أبيهم. يجب أن نحترم – أيضاً – هذه الرغبة، وهي – بدورها – ضرورية لتمام نضجهم.

❣ كيف تقضي إجازتك في الخارج؟

– أنا أعتبر الإجازات مناسبات عائلية. وأنا لست من هواة الاكتشاف. وغالباً ما أقضي إجازتي في نفس المكان، وأعود إليه بعد سنة، وهو قرية صغيرة على ضفاف نهر في ألمانيا، محل هادئ،

ويتيح الفرصة للكثير من الكتابة والقراءة والتأمل. لست ممن يرون أن الإجازات يجب أن تقضى في رؤية أكثر عدد ممكن من البلدان، في أقل عدد من الأيام.

❣ عندما تكتب هل تعزل نفسك؟

– إذا كان القصد بعزل النفس، إعلان حالة الطوارئ في المنزل، فهذا لا يحدث، أما إذا كان المقصود بعزل النفس أن أنتحي جانباً، فهذا الذي يحدث.

أنا أكتب – عادة – القصائد أو الأشعار في المساء، أكتبها في مكتبي، وفي غياب أي شخص آخر، ولكن لا يعني هذا ألا أكتب قصيدة – أحياناً – مع وجود أشخاص آخرين.

❣ هل أنت حريص على متابعة التلفزيون؟

– فيما عدا الأخبار التي لابد أن يتابعها الإنسان – ليس بحكم عمله فحسب، وإنما بحكم التطورات الهائلة والسريعة التي تعم العالم هذه الأيام – لا يوجد لدي حرص على متابعة برنامج بذاته، في أي تلفزيون.

❣ هل تميل إلى متابعة السينما؟

– هناك أنواع معينة من الأفلام أتابعها عن طريق الفيديو، وأكثرها تكاد تكون من الأفلام التاريخية والوثائقية، وأفلام الخيال العلمي، فهي النوع المفضل لدي من الأفلام.

❣ هل تمارس الرياضة؟

- لو كنت أمارس الرياضة - كما ينبغي - هل كنت أصلُ إلى هذا الوزن؟

❣ عندما تتولد لديك الرغبة في كتابة قصيدة وأنت في مكان لست متهيئاً فيه لذلك، ماذا تفعل؟

- هناك قصائد من هذا النوع كتبتها، عددها محدود، هناك قصيدة في ديوان «الحمى» عنوانها: «فيم العناء؟»، كتبت بأكملها في الطائرة كذلك قصيدة «بيروت» أيضاً في ديوان «الحمى»، كُتبت بأكملها في السيارة وكنا في رحلة طويلة، ومعي خمسة أشخاص في السيارة، وكتبت القصيدة كاملة، وكنت - طبعاً - شارد الذهن قليلاً، وهذه استثناءات نادرة، والقاعدة: أن أكتب بمفردي، وفي مكتبي.

❣ أجمل هدية قدمت لك وتحتفظ بها، ما هي؟

- أجمل هدية هي مشاعر الآخرين. كشاعر أحسن هدية أتلقاها ليس عندما يقول لي إنسان: إن هذه القصيدة رائعة، أو ممتازة، أو معلقة، أو ... إنما عندما يقول لي إنسان: قرأت هذه القصيدة، ووددت لو أنني كتبتها، وقد عبرت عما في نفسي بدقة. كشاعر أعتبر هذا أعظم جائزة، أو هدية أحصل عليها، خصوصاً عندما تأتي من إنسان عادي، أو إنسان يكتب لي من بلد بعيد، ويقول: قرأت هذه القصيدة، وتجاوبت معها.

بالنسبة للشاعر: هذه هي أعظم هدية.

الفصل الثالث

الشعر بين الإبداع والالتزام

مقابلة أجراها الأستاذ محمد عبدالله منور

(جريدة «المسلمون» - المددان: «٢٧٦-١٨ مايو» و«٢٧٧ - ٢٥مايو» ١٩٩٠م)

إن إجراء حوار مع الدكتور/غازي عبدالرحمن القصيبي، ليس بالأمر السهل. وهذه الصعوبة التي أعنيها، لا تكمن في إمكانية الوصول إليه، أو مقابلته والتحدث معه فهذا - عند الدكتور غازي القصيبي - أمر لا يحتاج الإنسان فيه إلى نوع من الشفاعة، أو بذل جهد أو عناء.

ولكن الصعوبة التي عنيتها، تكمن في القدرة على مناقشته، وكيفية التحاور معه، والدخول إلى عالميه: الشعري، والفكري.

فهو لا يحمل عقلاً واحداً، بل تتحرك في رأسه عدة عقول ففيه: عقل الشاعر، وعقل الناقد، وفيه - كذلك - العقل المخطط للتنمية الصناعية، والتطور الاجتماعي.

وهو ذو وعي بما يدور حوله في العالم: من تقاطعات، وتداخلات، والتقاءات فكرية وحضارية.

وهو - كذلك - يبهرك بلغته الرصينة الفصيحة، وطرحه المنظم. ولقد كنت أظن أن حديثي معه، سيتخذ المنحى الأدبي، الذي وطنت نفسي على مناقشته حوله، ولكن شمولية الدكتور/غازي القصيبي الفكرية، وسعة همه - أخرجتانا من هذا المنحى، ليلتمس معاناة أمتنا الإسلامية، ليس في حياتها الأدبية فحسب، بل يعالج - كذلك - مشاكلها الفكرية والتنموية، والواقع المعيشي الذي يعانيه المسلمون في عصر القوة. فإلى حديثنا مع د. غازي القصيبي.

الشاعر، هل يمتاز عن غيره؟

❢ يرى بعض النقاد، أن هناك سراً خفياً في ذات الشاعر، يعطيه نوعاً من البصيرة بالوجود، هل هذه الخصوصية تجعل الشاعر متميزاً عن غيره من البشر؟

– جذور كلمة «شعر» اللغوية مستمدة – بالفعل – من الشعور، بمعنى أن «الشاعر» – في التصور اللغوي – هو الإنسان الذي يشعر بأشياء، لا يشعر بها غيره. وفي الحضارات القديمة كلها – وعلى سبيل المثال الإغريقية والعربية – كان هناك انطباع أن الشاعر «يحس» بأشياء، لا يعرفها الآخرون. وكان هناك تساؤل: من أين جاء هذا الإحساس للشاعر. وكان الجواب: إنه جاء من «القوى الخفية» من «حوريات الشعر» عند الإغريق، ومن «شياطين الشعر» عند العرب.

هكذا كانت النظرة القديمة للشاعر، أما اليوم، فنحن نعرف أنه لا توجد للشعر «شياطين»، أو «حوريات» بعبارة أخرى، نحن نعرف اليوم، أنه لا يوجد لدى الشاعر معرفة تميزه عن الآخرين.

❣ إذن ما الميزة التي تميز الشاعر عن غيره؟

- هذا سؤال وجيه جداً، وإجابتي عليه تغضب الشعراء والنقاد. لا توجد - في حقيقة الأمر - ميزة للشاعر على غيره من البشر. الفرق الوحيد بين الشاعر وغير الشاعر، أن الأول قد أعطي موهبة معينة، وهي القدرة على التعبير عن تجاربه بطريقة معينة، نسميها «الشعر».

في المجتمعات القديمة، كانت الكتابة معدومة، أو شبه معدومة، وكان الإيقاع اللفظي، هو الوسيلة الوحيدة للإبداع الفني، ومن هنا، اكتسب الشاعر هذه «الهالة» الخاصة، التي جعلت الناس يتصورون، أنه يختلف عن الآخرين.

عندما نتصور مجتمعاً لا يوجد فيه سوى الشعر، يمكننا أن نتصور المكانة الخاصة للشاعر، أما الآن، فقد زالت العوامل والظروف، التي أدت إلى نشوء المكانة الخاصة. في الوقت الحاضر، لا أرى ميزة للشاعر على القاص، أو الروائي، أو أي موهوب آخر.

❣ أقصد - من خلال الحديث عن الشاعر - معرفة ما إذا كان للفنان - بصفة عامة - نوع من التميز عن بقية البشر؟

- الفارق الوحيد - وأنا أفضل كلمة «فارق»، على كلمة «ميزة»

- أن الفنان أوتي موهبة التعبير الفني، لا أكثر من ذلك ولا أقل. إن القاص، أو الشاعر، أو الموسيقي، ليس - بالضرورة - أرق شعوراً، أو أكثر معرفة من التاجر، أو الطبيب، أو المقاول، أو الخباز. والفارق الوحيد - بينه وبين هؤلاء - أن لديه موهبة التعبير الفني، التي لا توجد لديهم. وهذه الموهبة لا تعني أن الفنان أذكى، أو أكثر حكمة من غيره، وبالتالي فلا يوجد ثمة مبرر، لأن نبحث عند الفنانين عن الحكمة، أو المعرفة، أو الدور القيادي المتميز.



ما هو دور الشاعر وما هي مهمته؟

❢ يجعل النقاد من مهمة الشاعر في العصر الحديث التغيير للأفضل.

- للنقاد أن يروا ما يشاؤون. أما أنا فلا أرى أن دور الشاعر هو تغيير المجتمع إلى الأفضل. لو استعرضنا الشعراء عبر التاريخ، لوجدنا قوس قزح متكاملاً من المواقف: هناك شعراء مجدوا الأوضاع القائمة، وهناك شعراء حاولوا تغييرها. هناك شعراء تطلعوا إلى الأمام، وهناك شعراء نظروا إلى الخلف. هناك شعراء شجعان، وهناك شعراء جبناء. هناك شعراء مؤمنون، وهناك شعراء كافرون.

لا يمكن أن أقول: إن الشعراء جمعتهم في الماضي، أو تجمعهم في الحاضر، رغبة ملحة في تغيير المجتمع وتطويره. كان أبو نواس

شاعراً من أعظم الشعراء - من الناحية الفنية - فهل كان يطمح إلى تغيير مجتمعه إلى الأفضل؟ القول بأن مهمة الشاعر هي دفع المجتمع إلى الأفضل تعميم لا تدعمه الحقائق.

❣ هل نخرج من مقولاتك هذه، بأن الشاعر مجرد مداح، أو أراجوز يسلي الناس؟

- هذا شيء قلته أنت، ولم أقله أنا، ولم يخطر لي ببال. ما قلته أنا، هو أن الشاعر ليس مصلحاً اجتماعياً، ولا يفترض فيه أن يكون مصلحاً اجتماعياً لمجرد كونه شاعراً. مهمة الشاعر الوحيدة، هي التعبير عن تجاربه شعراً.



الشاعر والكون

❣ إذن ماذا يريد الكون والوجود من الشاعر بصفة شمولية؟

- لا أستطيع الحديث باسم الكون أو الوجود، ولكني أستطيع الحديث عن نفسي كإنسان في هذا الكون. للمعرفة مصادر عديدة، ويجب البحث عن كل نوع في المعرفة من مصدره، فالأسئلة الكونية الكبرى: عن الكون، وخالقه، ومصيره، لا جواب لها إلا عند الدين، والبحث عنها في مصادر أخرى مجهود ضائع. والقوانين التي أودعها الله في الطبيعة، لا يمكن معرفتها إلا من العلم التجريبي. وإذا أحببت أن أتعمق في ماهية المعرفة وطبيعتها، فيجب عليّ أن ألجأ إلى الفلاسفة. وإذا أردت معرفة تاريخ البشر، فالجواب عند المؤرخين. إذن ماذا أجد عند الشعراء؟ والجواب: إنني أجد لديهم التعبير الفني الجميل، عن بعض التجارب الإنسانية، لا أكثر من

ذلك ولا أقل. وهكذا ترى أن الذين يبحثون لدى الشعراء عن جواب لأسئلة كونية، أو عن وسائل تطوير المجتمع، إنما يبعثرون أوقاتهم في مجهود عقيم.



الشاعر والمجتمع

؟ ولكن هناك شعراء قادوا التغييرات العظيمة

- أعطني اسم شاعر واحد قاد البشرية، أو شاعر واحد ترك نظريات غيرت مجرى التاريخ، وسأكتفي باسم شاعر واحد.

؟ المذاهب الأدبية في أوروبا، هي عبارة عن مذاهب فكرية، أو فلسفية في أصلها، لما تمثله الأدباء والشعراء في إبداعاتهم التي أثروا بها في المجتمع الأوروبي، وغيرت كثيراً من الخارطة الفكرية والاجتماعية هناك.

- قد يكون غيري أعرف مني، أما أنا فلا أعرف شاعراً واحداً - عربياً أو غير عربي - قاد إصلاحاً اجتماعياً، أو حركة فكرية، أو غيّر مسار التاريخ... لا أعرف شاعراً من هذا النوع.

؟ ولكنهم دعوا إلى هذا وبشروا به.

- لا، لم يدعوا كلهم، ولم يبشروا كلهم. بعض الشعراء دعا إلى الفضيلة، وبعضهم دعا إلى الرذيلة، بعض الشعراء حاولوا إصلاح مجتمعاتهم، وبعضهم رضوا بالأوضاع القائمة في المجتمع. الشاعر - في النهاية - بشر، ومواقف البشر متفاوتة.

؟ ورد من صفات الشعراء في الآية الكريمة، صفة «الانتصار من بعد الظلم».

- في عصر النبي ﷺ، كان هجاء الشعراء المؤمنين لكفار قريش «كنضح النيل» - كما يقول التعبير النبوي الخالد -. أما اليوم فقد تغير الوضع بالنسبة لتأثير الشعر، لم يُهْجَ أحد في التاريخ، بما هجونا به الصهاينة، ولو جمعنا ما كتبناه في هجائهم لخرجنا بملايين الأبيات الشعرية. هل رأيت صهيونياً واحداً قتله هذا الهجاء؟ هل رأيت دولة الصهاينة تهتز وتتمايل، مع وقع هذا الشعر؟

في ظروف اليوم، العلم هو السلاح، وليس الشعر. إن قيام المتعلم بتعليم أمي واحد يقربنا من تحرير فلسطين أضعافاً مضاعفة، أكثر من أية قصيدة نكتبها في هجاء إسرائيل. بناء مدرسة واحدة أخطر على الصهاينة من آلاف الدواوين المكتوبة في ذمهم. الحرب الفعالة هي التي تتم بأسلحة العصر الفعالة، ولو كان الشعر أحد الأسلحة الفتاكة في هذا الزمان لطلبت من الشعراء أن يكونوا طلائع المقاتلين.

في المجتمع العربي القديم، كان الشعر - بالفعل - سلاحاً رهيباً، قصيدة واحدة تقيم الدنيا وتقعدها، تخزي قبيلة، وترفع قبيلة. أما اليوم - في عصر الذرة والإلكترون والصواريخ والحاسب الآلي - فمفتاح الانتصار ليس في أيدي الشعراء، إنه في أيدي العلماء.

❣ هل معنى ذلك أن مهمة الشعر قد انتهت!؟

- ليس للشاعر مهمة تبدأ وتنتهي. على الشاعر أن يعبر عن مشاعره، بالطريقة الفنية الجميلة، التي نسميها «شعراً»؛ فهذا هو دوره الوحيد، إن كان لابد من كلمة «دور».



هدف الأدب وغايته

❓ هل تقولون بعدم هدفية الأدب في هذه الحياة وأن الفن والأدب، ما هما إلا مطلب استهلاكي للذات الإنسانية، تحتاج إليه كما تحتاج إلى الهواء والأكل واللبس فحسب ! أي أن الفن ضروري للإنسان، وليس هدفاً؟

- مرة أخرى، كل هذا تقوله أنت، ولم أقلْه أنا. إذا كان الدين هو الإنسان في حالة عبادة، والعلم هو الإنسان في حالة تجريب وبحث، والفلسفة هي الإنسان في حالة تأمل، فالشعر هو الإنسان في حالة غناء.

❓ إن نظرية الأدب الإسلامي، تقول: بهدفيه وغائية الفن عامة، والأدب والشعر خاصة، وإلا صار الفن والأدب والشعر عبثاً!

- لقد بدأنا نقترب من مأزق «التعريفات»، وكم من نقاش فقد مضمونه لأن كل طرف كان لديه تعريف لموضوع النقاش، يختلف عن تعريف الطرف الآخر ماذا تقصد بكلمة «هدف»؟ من وجهة نظري، الإسلام يرفض أدباً معيناً، وشعراً معيناً، ويبيح كل ما عدا ذلك.

وعندما قال الإمام الشافعي - رحمه الله - «الشعر كلام: فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام»، فصّل وفرّع، وأبان الشعر المرفوض الذي يثلم الأعراض، أو يبالغ في المديح الممجوج. وأعتقد أن هذا هو المنطق السليم.

كل ما لم يرد نص بتحريمه، فهو مباح، وكل شعر غير مرفوض من الناحية الإسلامية، يجب أن يعد مباحاً بدوره. والتفرقة بين الأدب الإسلامي، وغير الإسلامي، تثير في نفسي بعض الخوف؛ فنحن جميعاً - بحمد الله - مسلمون، وأخشى أن نتفرق إلى مسلمين «إسلاميين»، ومسلمين «غير إسلاميين».

كل شعر لا يرفضه الإسلام صراحة، يجب أن يبقى ضمن دائرة الشعر المقبول. أنا أفهم التفرقة بين شعر مرفوض إسلامياً، وشعر غير مرفوض إسلامياً، ولكن الحديث عن شعر إسلامي، أو أدب إسلامي، يحيرني عندما يصف الشاعر وردة، أو غديراً، أو قمراً، هل نستبعد هذا من الشعر الإسلامي؟! هل نقول: إن الشعر الذي لا يخدم أغراضاً اجتماعية، أو سياسية، هو شعر غير إسلامي؟! هل نقصر الشعر على شعراء الجهاد، والدعوة، والإصلاح؟!

❣ نريد ملخصاً لرأيكم في الأدب الإسلامي.

- رأيي أن أي أدب لا يرفضه الإسلام، هو أدب مقبول، أما الأدب الذي يحتوي بصورة مباشرة - أو غير مباشرة - على كفر، أو شرك، أو مناقضة لمبادئ الإسلام، فهو أدب مرفوض.

الإسلام يحل الطيبات، ويحرم الخبائث. وهذا المبدأ العام يسري على الأدب، كما يسري على غيره من شؤون الدنيا. إذا كنا بصدد أدب «خبيث»، فهو أدب مرفوض، وإذا كنا بصدد أدب «طيب»، فهو أدب مقبول.

أعتقد أن هذا «المعيار» أوضح من معيار التصنيف إلى «أدب إسلامي»، و«أدب غير إسلامي». بعد تطبيق هذا المعيار يجب ألا نذهب أبعد من ذلك، فنحاول أن نضع طبقات للشعر، بحيث يكون بعضها أفضل من بعض. الشعر الحقيقي - في النهاية - هو محصلة مشاعر إنسانية حقيقية، وكيف نقسم هذه المشاعر إلى طبقات؟!



الشكل والمضمون

❣ من هذا التذييل الأخير، نفهم أننا قد نحكم بروعة العمل الفني وجماليته، من الناحية التعبيرية والفنية، وإن كان يتعارض مع الإسلام!.

- ألم يكن ذلك موقف رسول الله ﷺ من شعر أمية بن أبي الصلت؟ من حديث عمرو بن الشريد، أنه ﷺ استنشد أشعاره، وكان يستزيد منها. من الضروري ألا نخلط بين ميزان الإسلام، وميزان الفن. من صالح الإسلام، ومن صالح الفن، أن تبقى الموازين مستقلة. يمكن أن يوجد شعر رائع فنياً، ومرفوض إسلامياً، ولْنَعُدْ إلى أبي نواس مرة أخرى، ألم يكن في معظم شعره مبدعاً فنياً، ومرفوضاً إسلامياً؟ ألم يكن في شعر المتنبي ما نرفضه إسلامياً؟

مشكلة المصطلح

❣ ونحن ننادي بأدب إسلامي، لسنا ضد الفنية خاصة، أو الأدب عامة، وإنما هي تسمية فيها استرداد الهوية التي نحس بفقدها في هذا العصر، الذي كاد أن يضيع فيه المسلمون!

– لقد فقدنا هويتنا الإسلامية لأننا ضعفاء. وتاريخ الغزو الفكري يبين – بما لا يقبل الشك – أن أي حضارة سائدة، سرعان ما تفرض هويتها وبصماتها، على الحضارات الأقل منها، شئنا ذلك أم أبينا.

جاءت فترة كانت الحضارة الإغريقية فيها هي السائدة، ثم سادت الحضارة الرومانية، ثم سادت الحضارة الإسلامية، واليوم تسود الحضارة الغربية، وتطبع العالم كله ببصماتها.

واجب كل مؤمن – الأول – أن يخرج بنا من حالة الضعف، إلى

حالة القوة، في حدود طاقاته وإمكاناته وما يتاح له من موارد؛ ذلك أننا مادمنا ضعفاء متخلفين علمياً، تعبث الأمية بمجتمعاتنا، ويعيث الفقر في دولنا، ويعبث الضياع بنا - مادمنا بهذه الحالة، فإن ألفي قصيدة في تمجيد الإسلام وقيمه، لن تنقذنا من ورطتنا.

لقد بين الله - سبحانه وتعالى - السبيل، عندما أمرنا أن نعد لأعدائنا ما استطعنا من قوة. والقوة - في هذا العصر - هي قوة العلم. لا يمكن أن تكون قوياً عسكرياً ومتخلفاً علمياً. فإذا أردنا الخروج من ضعفنا وذلنا وهواننا، فيجب البحث عن مخرج من فقرنا وجهلنا.

الغزو الفكري هو قدر الضعفاء. أين المخرج؟ ليس المخرج في تقديس الغرب - كما فعل ويفعل بعضنا - المخرج في الفهم الصحيح للإسلام، الذي وعد المسلمين بالحياة الطيبة، في هذه الدنيا، وفي الآخرة، ووعدهم بأن يستخلفهم في الأرض.

من المآسي التي تدمي القلوب، أن أناساً لهم هذا الدين العظيم، يبقون متخلفين وضعفاء إنني حريص على الهوية الإسلامية، ولكنني أعرف أننا لن نستردها إلا إذا استرددنا القوة، والقوة سبيلها العلم. إن اختيار طائفة من الإنتاج الأدبي وتسميتها أدباً إسلامياً، هو تغيير في المظهر، لا الجوهر.



مصطلح الحداثة

❣ فيما يتعلق بمصطلح الحداثة، البعض يرى أنها مرتبطة بأفكار غربية، والبعض يرى أنها منهج فني، يمكن أن يستفاد منه في الشعر والأدب. فما رأيكم؟

– نعود هنا إلى موضوع «التعريف». كثير من المناقشات تفقد كل معانيها لأن المصطلحات غائمة، غير محددة في أذهان المتحاورين. كل طرف يتحدث عن الشيء نفسه، ولكن بمفهوم مختلف عن محاوره. هناك مؤلف فاضل ألف كتاباً عن: «الحداثة في ميزان الإسلام»، وكان من الواضح أن ذهنه يتجه إلى تعريف للحداثة، يعتبرها بمثابة دين آخر يختلف عن الإسلام. إذا بدأنا بمفهوم كهذا، فمن المنطقي أن ننتهي إلى نتائج كالنتائج التي انتهى إليها المؤلف الكريم. أما إذا كان لدينا تعريف مختلف، فسوف نصل – بالتأكيد – إلى نتائج مختلفة.

أنا أعتبر تعبير «الحداثة»، من أسوأ التعبيرات في السوق الثقافية لأنه تعبير غامض، يفهمه كل إنسان كما يريد. في العصر اليوناني، كانت هناك «حداثة» وفي عهد النهضة الأوروبية، كانت هناك «حداثة» وهناك - الآن - «حداثات» بعدد الحداثيين فعن أي حداثة أتحدث؟ إذا كانت «الحداثة» تعني عقيدة بديلة للإسلام، أو مناهضة له، فهي مرفوضة بالإجماع. إذا كانت «الحداثة» مجرد تعبير عن الرغبة في الوصول إلى تجديد في الأسلوب والألفاظ والتعبيرات، فلا أرى مبرراً لرفضها.

قبل سنوات كانت الكلمة المفضلة هي «المعاصرة»، وهي في نظري أفضل من «الحداثة»؛ لأن معناها أوضح، وهو أن يعيش الشاعر في عصره، ويكتب بلغة عصره، ويعبر عن هموم عصره، وليتنا نعود إلى هذا المصطلح، وننسى لفظة «الحداثة» التي عكرت مياه النقاش.

حداثة «أدونيس» - في رأيي - مناهضة للإسلام، ومنهج «أدونيس» الفكري - بأكمله - معادٍ للإسلام - كما يتبين لكل من يقرأ أطروحته عن «الثابت والمتغير». في رأي «أدونيس»، كل شيء يحاول تحطيم التراث الديني واللغوي، هو حداثة يصفق لها ويشجعها. لا توجد في ذهني أية صعوبة بالنسبة لأدونيس وطروحاته، فهي تخالف الإسلام جملة وتفصيلاً. ولكن: هل «حداثة» أدونيس هي «الحداثة» التي ينتسب إليها عدد كبير من شعرائنا وفنانينا الشباب؟ أشك في ذلك كثيراً، وأرى خطورة في إلصاق التهم بهم، على أساس حداثة توجد في ذهن أدونيس، لا في أذهانهم.

إن هـؤلاء الشعراء والكتاب - في تصوري - لا يقصدون بـ «الحداثة»، إلا المعاصرة - رغبتهم في أن يعبروا بأساليب جديدة، عن قضايا معاصرة - وهذا ليس هدفاً مشروعاً فحسب، بل إنه هدف مطلوب، إذا أريد لأي أدب أن يزدهر.

من هنا فإني أنصح كل من يريد أن يدلي بدلوه، ويفتي في موضوع «الحداثة»، أن يبدأ بتعريف «للحداثة». إذا قال إنسان: إن «الحداثة» التي في ذهنه، هي تلك التي تناقض الإسلام، فلن تجد أحداً يختلف حوله، أما إذا جاء شاعر وقال: إن الحداثة - بالنسبة له - تعني معايشة العصر، وتجديد دماء التعبير، فمن الظلم أن ندينه ونهاجمه. إن الحوار عن «الحداثة» - هذه الأيام - هو «حوار الصم» فكلٌ يغني على ليلاه، و«ليلى» هذا، غير «ليلى» ذاك.



الالتزام والأدب

❓ يرى بعض النقاد أن الالتزام يحد من حرية الأديب وإبداعه، فالأدب الروسي قبل الواقعية الاشتراكية، أكثر توهجاً منه بعد الالتزام بالواقعية الاشتراكية، الذي أضعف الأدب. فما رأيكم في وضع الأدب الإسلامي في ظل الالتزام؟

- نعود مرة أخرى إلى مشكلة «التعريف». مفهومي الشخصي عندما أهاجم الالتزام - وكثيراً ما هاجمته - ينصرف إلى ذلك المنهج المفروض على الأديب، من قوى وعوامل خارجية عن إرادته، سواء كانت ضغوطاً سياسية، أو اجتماعية، أو مرتبطة بالتقاليد، وهذا هو «الالتزام» الذي تحدثت عنه في سؤالك، والذي أجبر عليه الأدباء والشعراء في ظل الماركسية. أما إذا كان الالتزام نابعاً بطريقة عفوية، وعن إيمان واقتناع من الأديب، فلماذا أسميه التزاماً؟!

إذا كنت مؤمناً بقيم الحق، والحب، والخير، والعدالة، فلابد أن تنعكس هذه القيم بشكل مباشر، أو غير مباشر، على إنتاجك. هل يمكن أن نتصور شاعراً مؤمناً يمجد الجبت والطاغوت؟ هل يمكن لشاعر مسلم أن يتغزل في الأصنام؟ ربما كان الصدق مع الذات هو ما يقصده الكثيرون، عندما يتحدثون عن الالتزام. وبهذا المعنى، فلا اعتراض لديّ على المفهوم.



الالتزام والأدب الإسلامي

نعود إلى سؤالك عن «الأدب الإسلامي». كما سبق أن أوضحت لك، فأنا أشعر بشيء من القلق، من أبعاد إطلاق صفة «الإسلامي»، على نوع معين من الأدب. أنا أفضل أن أتحدث عن الأدب الذي يرفضه الإسلام، وماعدا ذلك، أعتبره أدباً مقبولاً من وجهة النظر الإسلامية.

البعض يرى أن الشعر الإسلامي هو شعر الجهاد، وشعر الدعوة، ولكن شعر الجهاد وشعر الدعوة، لن يكون رائعاً ومؤثراً، ما لم يكن صادراً من معاناة صحيحة، وعن موهبة حقيقية.

إن إطلاق صفة «الإسلامي»، على أي نوع من أنواع الأدب، لا تضمن - في حد ذاتها - تفوق هذا النوع على سواه، ما لم يكن - بالفعل - متفوقاً ونابعاً من تجارب صادقة.

مصطلح «الأدب الإسلامي»

❣ **ألا توافقون على مصطلح «الأدب الإسلامي»؟**

- لو كان هناك معنى محدد متفق عليه للمصطلح، لكان بإمكاني أن أرفض، أو أقبل، وأنا أفضل - كما سبق أن قلت - أن أتحدث عن الأدب المرفوض إسلامياً، وأعتبر كل ما عداه أدباً مقبولاً. إنني أخشى مغبة استخدام تعبير «الأدب الإسلامي» لإبعاد كل شعر لا يوافق عليه مستعمل التعبير، من دائرة الشعر المقبول.

إذا كان المقصود بـ «الأدب الإسلامي» كل أدب لا يتناقض مع مبادئ الإسلام، فالتعبير مفهوم وواضح. أما إذا أتينا - ضمن دائرة الأدب المقبول - وصنفناه إلى «أدب إسلامي»، و«أدب غير إسلامي»، فسوف نقع في تناقضات وسوف يكون شأننا شأن من يصنف المباح إلى «مباح إسلامي»، و«مباح غير إسلامي».

هناك أشعار في وصف الوردة، ودموع الطفلة، وغروب الشمس وشروقها، وخفقان القلب، ونبضات الروح، فمن يضمن لي أنها لن تستبعد من دائرة «الأدب الإسلامي»؟

من آراء «سيد قطب» - يرحمه الله - في كتابه العظيم: «في ظلال القرآن»، أن القرآن نبّه المشاعر والقلوب إلى روعة الطبيعة، وإلى مشاهدة تلك الروعة، التي أبدعتها قدرة الخالق العظيم، وتلك المشاهد الرائدة، هي المادة الخام للفن والأدب.

وذكر الأستاذ «سيد قطب» في «منهج الفن الإسلامي» أمثلة رائعة لما يكتبه شاعر أو أديب، عن نبتة صغيرة في الصحراء، أو عن مأساة من مآسي الحياة، ويبقى ضمن دائرة «الأدب الإسلامي».

إذا فهمنا التعبير بهذه الروح الواعية، فلا أرى ضيراً في استخدامه. أما إذا فهمناه بمعنى محصور ضيق، فسوف يكون بمثابة «التزام» مفروض، كالتزام «الواقعي» الذي لم يخدم قضية الأدب، أو الفن.



الانفتاح الثقافي

؟ كيف نستطيع أن نقرب الشقة بين الاحتفاظ بهويتنا الإسلامية الأدبية، وبين الانفتاح الثقافي على الغرب؟

- هذا السؤال وجيه ودقيق، ودعني أبدأ بالقول: إنني أكره كلمة «الانفتاح»؛ لأسباب عديدة، ليس هذا مجال تعدادها، ومنها: أنها لا تخلو من «بذاءة» في مدلولاتها. نحن لا نريد أن «ننفتح» على الغرب، أو نتركه «ينفتح» علينا، نريد أن نتعامل معه بيقظة وحذر، ونأخذ منه ما يفيدنا، وننبذ الباقي.

أكبر وهم يحيط بالحضارة الغربية، هو أن لها وجهاً واحداً: إما أن نتوجه إليه بالتقديس والعبادة، وإما أن نرفضه نهائياً ولقد قام بعضنا - بالفعل - بالتوجه إلى الحضارة الغربية بالعبادة أو ما يشبهها، ونحن المسلمين لا نعبد إلا الله. ويستوي - من وجهة نظر

التوحيد – من يعبد «اللات» و«العزى»، ومن يعبد جائزة «نوبل»، أو يعبد «السوربون». وقد ارتكب بعضنا الخطأ الأكبر المناقض، حيث رفض الحضارة الغربية كلية، وبصفة مطلقة.

وحقيقة الأمر، أن الحضارة الغربية لا تتكون من وجه واحد، ولكن من وجوه عديدة مختلفة، وبدلاً من موقف القبول المطلق، أو الرفض المطلق، يبدو لي أن المنطق يقتضي منا أن نقسم معطيات الحضارة الغربية إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: مرفوض بكلياته وحذافيره، ولا نقبل فيه أي أخذ ورد، أو أي مساومة، وهو القسم المتعلق بعقيدتنا. نحن لدينا موقف عقائدي من الخليقة والخالق – سبحانه وتعالى – يختلف كلياً عن موقف الحضارة الغربية، ومن هنا فإن واجبنا الحتمي، هو أن نرفض أي تصور غربي، يرتبط بالعقيدة والإيمان.

القسم الثاني: وهو مقبول ومطلوب، ويجب أن نتقبله وننقله، وأي دعوة تذهب إلى نقيض ذلك، هي دعوة خاطئة وضارة ضرراً قاتلاً – هذا القسم هو المتعلق بالتقنية والعلوم التجريبية، وفنون الإدارة والصناعة والزراعة. كل ما يتعلق بالطب والهندسة والألكترونيات والأحياء، لا يمكن أن يؤخذ – في الوقت الحاضر – إلا من مصادره الغربية، ودعوتنا إلى رفض الاقتباس هنا، هي – في حقيقتها، وبصرف النظر عن نوايا أصحابها الحسنة – دعوة لإبقائنا في تخلفنا إلى الأبد.

أما القسم الثالث: فيمكن أن نسميه «القسم المحايد»، لا هو مخالف لعقيدتنا، فنرفضه، ولا هو ضروري لتقدمنا، فيتحتم علينا قبوله. ومعظم التراث الغربي في الفنون والأدب، يندرج تحت هذا القسم.



الثوابت والمتغيرات

❣ ما هي الثوابت والمتغيرات، التي يجب ألا يفارقها الأديب؟ وما هي المتغيرات، التي هي محل أخذ ورد؟

- لا يوجد أي صعوبة في ذهني، للتفريق بين ما يثبت، وبين ما يمكن أن يتغير. الثوابت هي: أركان الإسلام، وما استنبطه الفقهاء من مقاصد الشريعة في الحفاظ على: الدين، والعقل، والمال، والعرض، والنفس، مما تجده مبسوطاً في مصادره، فيما عدا هذا - مما لا يتعارض مع هذه الثوابت - يمكن أن نقتبس، ونستفيد، وننقل، دون حرج.

الغموض والإبداع

؟ يرى البعض أن الغموض أساس الإبداع الأدبي، حتى تتعدد القراءات، ويجد عدد من المتلقين همه الذي يشغله في النص الإبداعي، وبعض النقاد يرى أن الغموض ضد الإبداع. فما رأيكم في إشكالية الغموض والإبداع؟

- أحب أن أفرق بين الغموض «المطلق»، والغموض «النسبي»، وأحب أن أضرب لك مثلاً على ذلك: أنا - مثلاً - عاجز عن فهم أي شعر فرنسي لأني أجهل الفرنسية، فغموض الشعر الفرنسي هو غموض نسبي لأن غيري يفهمه. الغموض الذي أرفضه، هو الغموض المطلق، الذي لا يفهمه القراء المتذوقون، وربما لا يفهمه حتى الذين كتبوه.

هذا ليس أدباً إنه يقع ضمن دائرة الطلاسم والألغاز أما الغموض «النسبي»، فلا اعتراض لديّ عليه، ما لا أفهمه أنا - لأني أفتقر إلى

خلفية ثقافية، أو نفسية، أو حضارية - قد يفهمه غيري، ووجود شيء من الغموض الموحي، أمر ضروري في كل أدب، وفي كل شعر بصفة أخص.

روح الشعر هي التشبيهات، والاستعارات، والكنايات، والإيماءات. وإذا زالت هذه، فماذا يبقى من أسلوب الشعر؟ مشكلتنا مع كثير مما يكتب هذه الأيام، أنه يقع ضمن دائرة الغموض المطلق؛ لذلك فهو أدب لا يستمتع به سوى الذين كتبوه، هذا إذا فهموه هم.



وضع اللغة العربية

❢ هل أنتم راضون عن وضع اللغة العربية؟ فهناك شكوى مستمرة من قواعد اللغة العربية، وهناك ضعف شامل في هذا المجال؟

– عندما أقرأ كتاباً مثل «فقه اللغة» للثعالبي، وأرى عشرات المصطلحات الدقيقة، في كل موضوع تحدث عنه أسلافنا، وأرى فقر لغتنا اليوم – أكاد أشرق بالدموع!

عندما قرر الصهاينة إنشاء دولة لهم، كانت اللغة العبرية لغة ميتة، بعثوها بعثاً من المعاجم، واستخدموا مفرداتها، حتى أصبحت لغة حية، أما نحن فقد ورثنا أكثر اللغات حياة، فبذلنا أعظم الجهد لقتلها!

هل من المعقول أن يتخرج الطالب من الجامعة، دون أن يفتح

المعجم مرة واحدة في حياته؟ أنا أعرف أناساً حصلوا على درجة الدكتوراه في الأدب، دون أن يكون في بيوتهم معجم واحد!

الخطوة الأولى - إذن - هي أن نضع في يد كل طالب قاموساً، يبدأ صغيراً مع المرحلة الابتدائية، ويتدرج مع تقدم الطالب، وأن تخصص - ضمن مواد اللغة العربية - «مادة المعجم»، ليكتشف كل طالب غنى لغته المذهل.

الخطوة الثانية، هي تغيير طريقة تدريس القواعد، ولا أقول: القواعد نفسها نحن ندرس المهم، مع غير المهم، فتختلط الأمور، ويختلط الحابل بالنابل.

لقد وجدت - من تجربتي الخاصة - أن بوسع المرء أن يكتب بلغة صحيحة وسليمة، إذا أتقن عدداً محدوداً من قواعد اللغة العربية: الفاعل، والمفعول به، والمبتدأ والخبر، و«إن» و«كان» وأخواتهما، والجار والمجرور. هذه القواعد تكفي لأن أكتب كتابة صحيحة بنسبة ٩٠٪. فماذا نفعل الآن في تدريس القواعد؟ ندرس المفعول معه، والمفعول من أجله، و«حتى» التي مات جدنا اللغوي العظيم وفي نفسه شيء منها فيضيع الطالب بين الأساسيات والفروع.

لو كنت المسؤول عن تدريس القواعد، لاكتفيت بهذه الأسس التي أشرت إليها، وخصصت سنة كاملة للمبتدأ والخبر - ولا شيء غيرهما! - وسنة أخرى للجار والمجرور، وسنة ثالثة لفاعل

والمفعول، وهكذا. افعل هذا، وأضمن لك أنك لن تجد - كما تجد اليوم - بين خريجي الجامعات، من يقول لك: «انقسم الناس إلى فئتان! أو «جاء الرجال المسلمين». حبذا لو جربت مدرسة واحدة - فقط - هذه التجربة، يقيني أنها ستجد النتائج رائعة.

هذا لا يعني - بطبيعة الحال - إهمال بقية القواعد. كل ما يعنيه، هو تحويل دراستها من «فرض عين» واجبة على الجميع، إلى «فرض كفاية» للمتخصصين في اللغة العربية.



الأدب والترجمة

❣ هل أفاد الأدب العربي من الترجمة، خاصة وأن لكم تجارب في هذا المجال؟

– يقال: إن الترجمة هي خيانة للأصل. وهذا القول صحيح إلى حد ما، ولكنه يصدق على ترجمة الشعر، أكثر من ترجمة النثر. بالنسبة للنثر، ترجمته الآن ميسورة، لمن يملك أسبابها وأدواتها، وليس ثَمّ كبير عناء في ترجمة الروايات، أو الأقاصيص، أو المقالات، سواء عن العربية أو إليها، وقد اطلعت على أعمال مترجمة من العربية إلى الإنجليزية، وبالعكس. وكان بعضها دقيقاً وقيماً، أما الشعر، فترجمته مشكلة عويصة؛ لأنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالموسيقى – وهذه كيف تترجمها؟ – كما أن فيه الكثير من الومضات والإيماءات، التي تفقد كل مدلولاتها، خارج نطاقها الحضاري.

إذا أردنا أن نخرج الأدب العربي، إلى النطاق العالمي، فيحسن بنا أن نبدأ باختيار النصوص القابلة للترجمة، والتي يقبلها الذوق غير العربي، دون كبير عناء. أحياناً نحن نفعل العكس، عندما «نبدأ» بتعليم الشعر الجاهلي للأجانب، الذين يودون أن يتعلموا اللغة العربية، أليس الطريق الأسلم، أن نبدأ بنصوص سهلة، ثم ننتهي بالشعر الجاهلي؟ إن ترجمة أعمال يمجها ذوق أولئك الذين تترجم لصالحهم، هو مضيعة للوقت والجهد والمال، وكذلك محاولة ترجمة أعمال لا تقبل الترجمة بطبيعتها.



الفصل الرابع

الشاعر محارباً سياسياً

مقابلة أجرتها / هدى الحسيني

(جريدة الشرق الأوسط - العدد ٤٣٣٦ -

١٢ أكتوبر ١٩٩٠م)

(أجريت هذه المقابلة خلال أزمة الخليج)

كثيرة هي الأقلام التي تفاعلت مع احتلال الكويت، ومع تفاعلها انفعلت، فوقف القراء والمتبعون، مواقف مختلفة من الكلمات التي خطتها تلك الأقلام.

ولأن احتلال صدام حسين للكويت، قسّم العالم العربي، وفرّق بين العربي والعربي، كانت ردود فعل كل فريق تجاه ما يكتبه الإخوة الخليجيون إما «مع» قاطعة أو «ضد» لا تساوم.

من أبرز الأقلام التي تلعب دوراً مهماً منذ أزمة الخليج، الدكتور/غازي القصيبي: الشاعر، والكاتب، والسفير لبلاده «السعودية» في البحرين، بعد أن كان وزيراً مدة عشر سنوات.

وللدكتور القصيبي قصائد مميزة، من حيث كونها تفصل بين مرحلتين في حياته، أو في أوضاع المنطقة. ومع القصائد الشعرية التي انطلقت مع احتلال الكويت، اختار أن يكتب – يومياً – مقالاً يعبِّر فيه عن وجهة نظره، التي كثيراً ما كانت نقداً لاذعاً، لموقف مسؤول، أو لتصريحاته.

في حوار «الشرق الأوسط» هذا الأسبوع، قررنا أن ننقل إلى الدكتور/غازي القصيبي أفكار وآراء وتعليقات «الفريق الآخر»، والتي تضم انتقادات، إضافة إلى رفض ما يعبر عنه. الدكتور الشاعر السفير، كان جوابه: أن يقبل أي سؤال، إذا تحملنا نشر الجواب. وهكذا كان الاتفاق.

في حواره مع «الشرق الأوسط» نفى الدكتور القصيبي أن يكون الخليجيون فقدوا إيمانهم بالعروبة والقومية العربية وقال: إذا حصل، يكون مجرد الإحساس بلحظة إحباط، وليس أكثر. فالقضية الأولى للعرب والمسلمين، هي قضية فلسطين. وإن احتلال الكويت، زاد معاناة أبناء الخليج، بالنسبة لاحتلال الصهاينة لفلسطين. وأضاف أن الخطر الذي يتهدد بيروت لا يختلف عن الخطر الداهم الذي يتهدد الكويت، فلبنان ما يزال قائماً برغم كل الأعاصير، أما الكويت، فإنها نامت دولة مستقلة ذات سيادة، لتستيقظ وهي إقليم تابع للعراق!

كان الحوار مطولاً مع الدكتور القصيبي، وبالطبع، لم يخلُ من انفعال وعصبية. وهنا نص الحوار:



❣ كما أننا لاحظنا أن هناك كمية من الكراهية والحقد، على الكويت والكويتيين عند صدام حسين، نشعر أنه لا ينقصك شيء من الإحساس نفسه، ضد الذين لم يقفوا معكم! فأين كانت مخبأة هذه المشاعر؟

- أعتقد أن الإجابة موجودة في السؤال نفسه. في الماضي لم نكن في حاجة إلى أحد يقف معنا، ولم يكن ثمة مبرر لكي تكون في أعماقنا مشاعر غضب من أحد. هذه المشاعر نشأت بنشوء الحاجة إلى من يقف معنا. عندما كانت الكويت دولة مستقلة ذات سيادة، لم يكن هناك ما يدعونا إلى أن نشعر بحقد أو غضب على أحد. عندما استبيحت كرامة الكويت، واغتصبت على هذا النحو المزري، كان شعورنا - بطبيعة الحال - جياشاً ضد من اغتصب الكويت، وكان شعورنا بالغضب قوياً تجاه الذين وقفوا معه، الذين لم يكتفوا بعدم الوقوف معنا، بل وقفوا إلى جانبه في غزو الكويت واجتياحها.

❣ لكن هل تعتبرون الذين لم يقفوا معكم ضدكم، حتى دون أن يقفوا مع صدام حسين؟

- نحن - الآن - في موقف اتضحت فيه الأمور، لا أعتقد أن هناك الآن أناساً يستطيعون أن يقفوا ضدنا، بدون أن يقفوا مع صدام حسين. أو أن يقفوا معه بدون أن يقفوا ضدنا كيف يجمع الإنسان بين الماء والنار؟! كيف يمكن لأحد أن يقول: «أنا أقف معكم، ولكنني لست ضد صدام حسين»؟! كلا.

❣ أقول: لا يقف معكم، ولا يقف مع صدام حسين.

- الأسرة الدولية حددت موقفها. مجلس الأمن حدد موقفه. الجماعات الدولية حددت موقفها. لم يبق طرف في العالم إلا وحدد موقفه. هذا هو الواقع، فلماذا نتحدث عن شيء نظري؟!

❣ في هذه الحالة أنتم تشبهون الطرف الآخر الذي يقول: من لا يقف مع صدام حسين، فهو مع أمريكا!

- هناك فرق كبير جداً بين ضحية الاحتلال والمحتل، نحن الطرف المظلوم، وهو الطرف الظالم، والمقارنة بين الموقفين غير واردة. نحن لا نتحدث الآن عن موقف حيادي. نحن نتحدث عن دولة اغتصبت بالفعل، ووقعت تحت الاحتلال. بطبيعة الحال نحن نعتبر الذين يقفون مع اغتصاب هذه الدولة ضدنا. هذا أمر واضح جداً.

❣ هل انتظرت حدوث مأساة الكويت، لتبدأ كتابة المقال اليومي، وأنت المعروف كشاعر؟

- المقال اليومي جزء من الحرب النفسية لاسترجاع الكويت. ولم نكن بحاجة إلى حرب نفسية قبل احتلال الكويت. إنني أعتبر احتلال الكويت، كاحتلال الرياض، أو جدة، أو المنامة، أو الدوحة، أو مسقط، وأعتقد أن من واجبي أن أقف ضد هذا الاحتلال بكل وسيلة متاحة لي: بالسلاح، أو بالقلم. قبل احتلال الكويت لم أشعر بخطر يتهددني على هذا النحو، ولم تكن ثمة حاجة لموقف كهذا من جانبي.

❣ لماذا لم يثر في أعماقك احتلال بيروت من قبل الإسرائيليين، ما أثاره في أعماقك احتلال العراق للكويت؟

- من قال لك هذا؟ ألم تقرئي الدواوين التي كتبتها؟ كنت أول شاعر يخصص ربع ديوانه للقضية الفلسطينية. كنت أول من كتب عن بيروت. وقد كتبت بعمق وتأثر لم ألمسهما عند عدد من اللبنانيين كنت أتمزق ألماً من احتلال بيروت، وكانوا على «الريفيرا» الفرنسية، لا يبدو عليهم أي أثر للانفعال ولكن عليك أن تتذكري، أن بيروت أبعد قليلاً من الكويت، ومن الدوحة، والخطر الذي يهدد بيروت، ليس في مستوى الخطر الداهم، الذي يهددنا الآن في الخليج.

❣ هل يمكن لإنسان أن ينجح في أن يكون دبلوماسياً، وسياسياً، وشاعراً، وكاتباً صحفياً، في الوقت نفسه؟

- من الناحية المنطقية يمكن للإنسان أن يجمع بين عدة أشياء. ما هي الصعوبة؟ لقد عرف التاريخ العديد من الدبلوماسيين، الذين كانوا في الوقت نفسه شعراء. وعدد من كبار الشعراء كانوا من الدبلوماسيين: كعمر أبو ريشة، ونزار قباني. كما أن بدوي الجبل كان سياسياً، بالإضافة إلى كونه شاعراً، وكاتباً.

❣ الملاحظ - من خلال كتاباتك، وكتابة بعض الإخوة الخليجيين - أنه صار عندكم حس «شوفيني» فهل انتهت العروبة كانتماء وأخوة بالنسبة إليكم؟

- كل ما كتبته - شعراً ونثراً - كان موجهاً إلى الحكام، وليس إلى الشعوب. العروبة لم تأتني بتعليمات من صدام حسين، حتى تزول عني بسبب تصرفات صدام حسين ولم أتلقّ العروبة من كتب ميشيل عفلق، حتى تزول عني بزواله لم يأتِ تأييدي لقضية فلسطين بناءً على إعجاب بشخصية ياسر عرفات، حتى يزول تأييدي للقضية، مع زوال إعجابي بعرفات لقد نشأت كما نشأ كل عربي في الخليج، وفي الجزيرة، وهناك حقائق أساسية تملأ وجودنا، وهي أننا عرب ومسلمون، وأن قضيتنا الأولى هي قضية فلسطين. هذه الحقائق، لا علاقة لها بصدام حسين، ولا باحتلال الكويت، ولا بياسر عرفات. لا أعتقد أن موقفنا من القضايا العربية السياسية الثابتة، تغير قيد أنملة. على العكس، احتلال الكويت يضاعف في نفوسنا الشعور بمرارة الاحتلال الصهيوني لفلسطين. موافقنا الأساسية لم تتغير. ما تغير، مشاعرنا نحو الحكام. كل ما تجدينه من مرارة في كتاباتي، أو كتابات غيري، فهي موجهة إلى الحكام، لا إلى الشعوب. المفروض أن يكون ياسر عرفات قائد ثورة، أن يكون ضمير الإنسانية، أن يرفض مبدأ الاحتلال في كل مكان؛ فكيف يؤيد احتلال دولة عربية نشأ وترعرع فيها، وانطلقت ثورته منها؟!

؟ هو لم يؤيد الاحتلال. أنت كتبت بأنه «يشيد باحتلال القوات العراقية للكويت»، وهو لم يفعل ذلك. هو رفض أن يدين الاحتلال.

- قصة البيضة والدجاجة. لا ينبغي لي، ولا ينبغي لك، أن نكون «صدّاميين» أكثر من صدام، وصدام حسين نفسه هو الذي وجه الشكر إلى الذين وقفوا معه، وفي مقدمتهم ياسر عرفات، من المحرج - عقلاً - أن تدافعي عن موقف، وياسر عرفات نفسه هو أول من يعترف به. ياسر عرفات قال: «كل من لا يقف مع العراق، سوف يلعنه التاريخ»، وياسر عرفات قال: «إننا نقف مع صدام حسين في خندق واحد»، وياسر عرفات يزور صدام حسين كل يوم. إذا أنكرت مواقف عرفات، فهذا يعني أنك أصبحت «عرفاتية» أكثر من عرفات.

❢ لكن كلمات عرفات ليست منزلة!

- أنا لم أقل: إنها منزلة، كلمات ياسر عرفات، تمثل موقف ياسر عرفات، وهذا الموقف - من البداية - هو التأييد المطلق لصدام حسين. هذا ما يقوله هو، وما يقوله صدام حسين.

❢ لماذا شملت كل الفلسطينيين في كتاباتك؟

- من أين جئت بهذا الكلام؟! كل كلمة كتبتها، كانت تتحدث عن الحكام، لم أذكر الشعب الفلسطيني إطلاقاً لأنني لا أستطيع أن أحمّل هذا الشعب جريرة قيادته. ما ذنب الشعب الفلسطيني في هذه القضية؟ أنا واثق من أن كل فلسطيني أعرفه، يقف مع الشعب الكويتي، لقد تلقيت عشرات الرسائل من فلسطينيين يقفون جميعاً

ضد الاحتلال الصدامي للكويت، (وأنا دائماً أسمي هذا الاحتلال «الصدامي»، ولا أسميه «العراقي»). مواقفي وكتاباتي، شأنها شأن مواقف وكتابات غيري في الخليج، تشكل نقداً لمواقف القيادات والزعامات، لا لمواقف الشعوب.

❣ لكن لاحظنا - ليس في كتاباتك أنت بالذات، ولكن في كتابات بعض الخليجيين - أن هناك نقداً للفلسطينيين، وندباً لكل قرش ساهمتم به. فبدا الأمر كأنكم نادمون على كل المواقف السابقة!

- هذا غير صحيح، أنا لا أعرف كاتباً خليجياً واحداً قال: «ليتنا لم نساعد الفلسطينيين!» ولا كاتباً خليجياً واحداً قال: «إن موقفنا السابق من دعم قضية فلسطين غير صحيح!». قضية فلسطين - بالنسبة لنا - لا تقبل المساومة، ولا الجدل، ولا النقاش. جميع ما تسمعين من انتقادات، موجهة إلى الزعامات الفلسطينية. عندما يأتي شخص مثل «جورج حبش» ويقول: «كل ما يؤدي إلى زوال الدول العربية القائمة، هو موقف شرعي»، فإنني أنتقد موقفه هذا، وأنتقد الفلسطينيين الذين يؤمنون به. ولكني لا أنتقد الشعب الفلسطيني ككل. إنني أعتقد أن هذا الشعب - بحس العدالة المترسخ فيه - لا يمكن أن يقف مع احتلال الكويت.

❣ لماذا - كخليجيين - تقفون الآن ضد الزعامة الفلسطينية بسبب مواقفها؟ وفي السابق وقفتم ضد قسم كبير من اللبنانيين، الذين كانوا يرفضون تصرفات هذه الزعامة، بالذات في لبنان؟!

– لا مجال للمقارنة بين الوضع الكويتي، والوضع اللبناني، لبنان دولة مقسمة منذ ثلاثين أو أربعين سنة إلى فئات، وعرضة للتدخلات الأجنبية، كانت هناك – دائماً – ميليشيات، ودولة داخل دولة، وحزب داخل حزب، ولبنان – على أي حال – لم يزل قائماً. لم يحصل في لبنان ما حصل في الكويت: دولة تنام وهي مستقلة ذات سيادة، وتصحو في الصباح وهي جزء من دولة أخرى لم يحصل شيء كهذا في أي مكان لا في لبنان، ولا في فلسطين، المقارنة غير واردة؛ لأن الوضعين مختلفان تماماً.

❣ هل تشعر أن صدام حسين خدعكم؟

– لقد تصرف صدام حسين تصرفاً مجرداً من كل القيم، وكل الأخلاق، ومن المنطق والحكمة. خدعنا أو لم يخدعنا، ليس هذا هو السؤال. ليست القضية أنه كان أذكى منا، أو أكثر عبقرية، فالذي عمله لم يكن عملاً ذكياً أو عبقرياً. لم يكن وارداً أن نتصرف على أساس أن ما حصل يمكن أن يحصل. نحن نسمع في الأخبار إن إنساناً ما قد يقتل أباه، أو أمه، أو زوجته، فهل يدخل الواحد منا بيته حاملاً سكينه معه، حتى لا يطعنه ابنه أو أخوه؟ لو تصرفنا من منطلق سوء النية هذا، لتحول العالم إلى غابة. ومن الأفضل أن نموت، على أن نتصرف على هذا النحو. صدام حسين لم يخالف المبادئ والقوانين فحسب، بل خالف حتى الغرائز. ولم يخالف الغرائز الإنسانية فقط، بل تجاوز الغرائز الحيوانية ذلك أن الحيوان لا يعتدي على حيوان من نفس فصيلته.

❣ الذين يغارون منك يقولون: إنك تنتظر من جراء ما تكتبه مكافأة، خاصة وأنه يقال: إنك طامع في مركز.

– لقد بلغت كل ما يمكن لإنسان مثلي أن يبلغه من مجد في هذه الحياة، ولم يعد هناك ما أتطلع إليه، سوى الباقيات الصالحات، ماذا يمكن لإنسان كان شاعراً معروفاً قبل سن التاسعة عشرة، وأصبح عميداً لكلية في حدود الثلاثين، وأصبح وزيراً في الخامسة والثلاثين – أن ينتظر الآن؟ ما تقولينه قد ينطبق على شخص لم يجرب هذه المناصب، أما الذي مرت عليه هذه الأشياء، وشبع منها، وشبعت منه – فلا يمكن أن تكون واردة. أملي الوحيد هو أن أقضي ما تبقى من حياتي في القراءة والكتابة.

❣ يعني فقدت أي طموح بالنسبة للمنصب أو المادة؟!

– لم أفقده، بل وصلت إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه الطموح، واكتفيت. عندما يصل المرء إلى القمة، لا توجد هناك أي تحديات يتطلع إليها.

❣ هل وصلت إلى القمة؟

– نعم. وأعتقد أن عشر سنوات في الوزارة، هي فترة أكثر من كافية، بالنسبة للإنسان الطبيعي.

❣ كثيرون قالوا بالنسبة إلى موقف العاهل الأردني وتصريحاته: إنها ليست تصرفات ملوك! في المقابل انتقاداتك للملك حسين لم تكن تليق بالرد على الملوك. فماذا تقول؟

- لا أعتبر ما أكتبه في الزاوية إلا جزءاً من الحرب النفسية، - لأننا داخل حرب بالفعل - وأعتقد أنه يجوز في الحرب النفسية، ما لا يجوز في الأحوال العادية لقد أبدى الكثير من الإخوان هذه الملاحظة، ولست أول من سألني: كيف أكتب بهذا الأسلوب؟

في الواقع نحن نعيش في زمن غريب جداً عندما ينشر صدام حسين قائمة بأسمائه، تشبهاً بأسماء الله الحسنى، فكيف أرد عليه بأسلوب مهذب؟ كيف يمكن التعامل مع أشياء، هي قمة الزندقة والكفر؟ عندما يأتي الملك حسين - أثناء احتلال صدام للكويت - ويصفه بأنه وطني صادق العروبة، فكيف أجيب؟ هذه عبارة جرحت كل إنسان كويتي، وكل إنسان في الخليج. عندما يأتي الملك حسين، ويتحدث عن التدخل الذي يمسّ الأراضي المقدسة، - وهو يعرف جيداً أن القوات متعددة الجنسيات تبعد آلاف الكيلو مترات عن الأراضي المقدسة - فماذا نقول له؟ الملك حسين يعرف أنه أول من سن سنة التدخل الأجنبي في العالم العربي، فعندما يتحدث الآن عن التدخل الأجنبي كيف نرد عليه، وبأي أسلوب؟!

❣ ألا توافق أن الزعماء يتحولون في مراحل معينة إلى رموز لشعوبهم، وأنك لا تكسب تلك الشعوب التي تتعرض بالتجريح لبعض زعمائها؟

- لم أكن في يوم من الأيام في مباراة كسب شعبية، ولست الآن في مبارة كسب شعبية، ولن أخوض في المستقبل مبارة كسب شعبية، لا مع زعماء، ولا مع شعوب.

يعني لا يهمك أن تحفظ خط الرجعة!

- عندما يكون الأمر متعلقاً بالمصير، بأن يكون الإنسان أو لا يكون، فإن إرضاء الأشخاص لا يكتسب أي أولوية على الإطلاق. من يريد أن يغضب، فليغضب، ومن يريد أن يرضى، فليرضَ نحن الآن أمام خطر يتهدد وجودنا ككيانات وشعوب، ولقد مضى زمن الأدب والمجاملة، وعلينا أن نواجه هذا التحدي بكل ما نملكه من حدة.

من أسهم في تثبيت الفراغ في العالم العربي، إلى درجة أن اعتقد صدام حسين أنه قادر أن يملأه؟

- لن أنزلق في إيجاد مبررات لصدام حسين، لم يكن هناك من مبرر لعمله، سوى أنه وصل إلى مرحلة من جنون العظمة، صورت له أنه الحاكم الناهي الآمر، الذي يستطيع أن يأخذ الكويت إذا أراد، وأن يحتل الخليج إذا اشتهى لن أنزلق في المتاهات الفكرية التي انزلق إليها بعض إخواننا من المثقفين - مثل الأستاذ هيكل - فأصور ما قام به صدام حسين، على أنه محاولة لإعادة التوازن في العلاقة، بين البادية والحاضرة، وبين الأغنياء والفقراء. هذا كلام غيرصحيح.

ولن أنزلق إلى القول: إننا نحن الذين بنينا صدام حسين، ويجب أن نتحمل نتائج عملنا. كلا. قرار احتلال الكويت كان قراراً من فرد واحد وليس من شأني أن أجد له تبريرات ثقافية، أو سياسية،

أو اجتماعية. ليبحث الأستاذ هيكل أو غيره من المبررات، أما أنا فأقول: لم يكن هناك دوافع سوى الطمع والجشع، وجنون العظمة!.

❢ عندما كتبت رداً على مقال لمحمد حسنين هيكل نُشر في «التايمس» اللندنية - أكدت أن إمكانية توزيع النفط على الدول العربية، هي مجرد حلم! في هذا لم ترد على هيكل، بل جرحت أحاسيس كل عربي، وكأن كل عربي يقف على بابكم يطلب منكم حسنة هل قصدت ذلك؟

– فلنبحث الموضوع من الناحية التاريخية. أقامت الأمم المتحدة عقد التنمية الأول، فالثاني، فالثالث. وكان المأمول أن تقدم الدول الصناعية ١٪ من دخلها القومي للدول النامية. وهذه النسبة لم تصل إليها أي دولة - إن لم تخني الذاكرة -. نحن في منطقة الخليج لم نكن أثرياء منذ الأزل! لم تبدأ الثروة الحقيقية لدينا إلا سنة ١٩٧٣م بعد زيادة أسعار البترول. قبل ذلك لم يكن هناك شيء يذكر. في سنة ١٩٧٠م لم يكن في مسقط سوى عدد صغير جداً من السيارات، وفي أبو ظبي لم يكن هناك شيء على الإطلاق.

نحن لم نبدأ التنمية إلا منذ عشرين سنة، وخلال هذه الفترة، قدمنا من الدعم للأشقاء العرب، ما لم تقدمه أي دولة في تاريخ المساعدات كلها. نسبة المساهمة كانت تتراوح بين ٥٪ و٨٪ من الدخل القومي، ولم يكن هناك تقصير من أي دولة خليجية. وأنا شخصياً لا أعاني من أي عقدة ذنب في هذا المجال. قد لا تعرفين

أنت، ولا يعرف الكثير من الإخوة العرب، أن في صناديق التنمية الخليجية، مبالغ كبيرة تبحث عن مشاريع تنموية عربية مدروسة لتمويلها، فلا تجد كانت المشكلة أن الكثيرين كانوا يجيئون، ويطالبون بمبالغ نقدية، يصرفونها كما يشاؤون. وكنا نطالبهم بتقديم مشروعات مدروسة. الكلام الذي ذكره هيكل سخيف جداً. أقترح أن تقام هيئة منتفعين من النفط، تتكون من الدول التي تنتج النفط، والدول التي يمر النفط بأراضيها، والدول التي لا تنتج ولا يمر عبرها النفط، وتقتسم الدخل هذا نظرية غريبة جداً! لماذا هذه النظريات عن النفط فقط؟! لماذا «نفط العرب للعرب»، وليس «ماء العرب للعرب»؟! أذكر أن الرئيس جمال عبدالناصر ذكر في الستينيات، أن دخل قناة السويس، كان أكثر من دخل البترول في الجزيرة العربية، وكان مصيباً، ما هذا الإصرار - بغتة - على أخذ النفط، وبهذا الأسلوب؟! نحن لم نتردد يوماً في إعطاء الدعم، وإذا كانت نسبة ٥٪ أو ٨٪ نسبة غير كافية، فيمكن أن يكون هناك حوار، ولكن أن تأتي دولة فتحتلنا وتبتزنا، فهذا أسلوب مرفوض.

❣ هل تشعر أن العرب طامعون في أموال الخليج، وهناك الآن قوات عربية، تقف في المملكة للدفاع عنها؟

- لا أحب أن أعمِّم، والإنسان يجب أن يكون دقيقاً. أمامي أشخاص وقيادات، لها تصريحات ومواقف معروفة، وسوف أكتفي بالحديث عنها. ولكني لا أستطيع أن أحمل ضميري مسؤولية القول:

إن العرب طامعون في نفط الخليج. هذا شيء لا أعرفه، وأشك في وجوده، ولا يوجد لدي ما يثبته.

❣ هل تعتقد أن تياراً إقليمياً خليجياً سيظهر؟ وهل تؤيد - أنت شخصياً - أي نزعة انعزالية، تطالب بإبعاد أهل الخليج، عن محيطهم العربي؟

- نحن نعيش عصر «التكتلات الكبرى»: أوروبا تتكون من ٢٠٠ مليون نسمة، وأمريكا من ٢٥٠ مليون نسمة، وهلم جرا. الكيانات الصغيرة لا بد أن تتحد لكي تبقى. لا يوجد في الخليج - حسب علمي - مغرور واحد، يتصور أن بإمكان الخليج أن ينعزل عن بقية الأمة العربية. نحن - بدون العرب، وبدون العمق الإستراتيجي العربي - لا يمكن أن نتمتع بحياة رغيدة، أو أن يكون لنا المجتمع المنشود الذي نتطلع إليه. على العكس، الأزمة الحالية ستزيدنا إيماناً بقيمنا العربية.

مشكلتنا أننا آمنا بالوحدة، فجاء من يضمنا إليه باسم الوحدة، ويحولنا إلى قضاء أو محافظة. ليس هذا هو الأسلوب السليم للوحدة. لقد بدأنا هنا بأنموذج جديد، هو: «مجلس التعاون الخليجي»، وهو يسير بخطى بطيئة، ولكنه يسير. ونريد مستقبلاً أن تتبع الدول العربية نفس النهج التدريجي. أن يجتمع رئيسان، ويصدرا قراراً بتوحيد دولتين خلال ٢٤ ساعة، هذا أسلوب ثبت فشله. أسلوب القهر لم يعد صالحاً للتوحيد، الإمبراطورية

السوفيتية قامت على هذا النوع من الوحدة، وانهارت. فهل سيكون صدام حسين، و«الوحدويون» العرب من أمثاله، أعظم من الاتحاد السوفيتي؟ انهارت وحدة الإمبراطورية الشيوعية، وانهار الجدار، وسقطت الأنظمة القائمة على القهر والقمع.

نحن – رغم الأزمة – لم نفقد إيماننا بالقومية العربية، أو الوحدة العربية، ولكنا سنصر على أن تتم الوحدة، وفق خطوات مرحلية مدروسة. نحن نريد أن يفتح المجال لحرية الحركة: حركة الاستثمارات، وحركة العمال، وحركة المهنيين. نود توحيد المناهج، ودروس التربية الوطنية. قد يبدو هذا الطريق طويلاً، ولكني أعتقد أنه الطريق الوحيد، لتحقيق الوحدة العربية. إذا صادفت إنساناً في الخليج يتحدث عن فقدان الإيمان بكل هذه المسَلّمات، فهو يتكلم في لحظة إحباط، ولا يعبر عن رأي الخليج.

■ هناك من يقول بأن خطة كانت قد أعدت قبل احتلال الكويت، يتقاسم - على أساسها - صدام حسين، والملك حسين، وعلي عبدالله صالح، الكويت والسعودية! وطبعاً الحصة الأكبر تكون لصدام حسين! هل سمعت بهذه الخطة؟ وما تعليقك عليها؟

– أعتقد – بعد الذي أعلنه الرئيس المصري حسني مبارك – لم يعد الموضوع مجرد سماع. لقد أعلن الرئيس المصري في مؤتمرات صحفية متتالية، أن «مجلس التعاون العربي» لم يكن سوى «مجلس تآمر». وأعلن أن إنشاء هذا المجلس كان بهدف تكوين فيلق عربي،

وإقامة تعاون استخباراتي، ولم يكن يستهدف أي تنسيق أو تعاون اقتصادي. وذكر الرئيس المصري - بوضوح وعلناً - أن هدف المجلس الحقيقي، كان تسهيل الهيمنة العراقية على الخليج. لم نعد الآن بصدد تكهنات. قال الرئيس مبارك كل هذا، وقال أكثر منه، وقال: إنه لم يعلن كل ما لديه. وبحسب علمي، لم يتهمه أحد بالكذب. عندما يتحدث الناس في الخليج الآن عن «مؤامرة»، لا أعتقد أنهم مصابون «ببرانويا». أعتقد أنهم يتحدثون، وأمامهم حقائق من رئيس دولة مسؤول، لا يلقي الكلام على عواهنه.

❣ أكد الرئيس حسني مبارك، ما جاء في نشرة «الفورن ريبوت» البريطانية، عن اتصالات عراقية - إسرائيلية، جرت في السابق، وتجري حالياً. هل تابعت هذا الموضوع؟

- لا يوجد عندي ما أضيفه إلى ما قرأت. ولكني أقول: إنني لا آخذ التهديدات العراقية ضد إسرائيل مأخذ الجد، سواء كانت هناك اتصالات بين الطرفين، أو لم تكن. قبل غزو الكويت بشهرين قال صدام حسين في خطاب علني: إن لديه فرقاً مدرعة أكثر من إسرائيل، وطائرات أكثر ممالدى إسرائيل، وصواريخ أكثر من صواريخ إسرائيل. وقال: إنه يستطيع القضاء على إسرائيل. حسناً، لماذا لم يفعل ذلك؟ لماذا لم يحرق نصف إسرائيل - كما هدد -؟ لماذا لم يزحف على إسرائيل؟ لو فعل صدام حسين ذلك، لما كان في الأمة العربية إنسان واحد يعارضه. كنا جميعاً مشينا تحت لوائه،

وكنا جميعاً متنا في سبيله. ولكن هذه القوة التي استمعنا علناً إلى تفاصيلها: «٥ ملايين مقاتل، وخمسين فرقة، وصواريخ تدميرية لا مثيل لها» تحولت لا إلى إسرائيل، بل إلى الكويت احتلت الكويت، ووقفت على حدودنا. أنا لا أعرف: هل هناك اتصالات إسرائيلية/عراقية، ولكني متأكد أنه لا توجد لدى صدام حسين أي نوايا عدوانية ضد إسرائيل. لقد أهانته إسرائيل، وقصفت مفاعله الذري، ورتبت «إيران جيت»، ولم يقذف عليها طلقة واحدة الحقائق تقول: إنه لم يظهر أي عدائية نحو إسرائيل.

تقول: لو أنه فعل هذا بإسرائيل، كنا نمشي وراءه. هل كنا - فعلاً - نمشي وراءه، وننسى أنه «ديكتاتور»، ولا يعترف بحقوق الإنسان؟

- نعم، لأنني أعتقد أن قضية فلسطين، قضية متوهجة في النفوس العربية، وتثير من المشاعر ما يجعل أي إنسان يتناسى أي اعتبارات أخرى. وفي الواقع، فإن التأييد الذي يحظى به صدام حسين، لدى قسم من الشارع الفلسطيني، قائم على هذا الأساس. هذا القسم لا يزال يصدق أن لصدام حسين نوايا عدوانية ضد إسرائيل.

لكننا لاحظنا اليوم «الثلاثاء»، أنه بعد مجزرة القدس التي وقعت أمس، أعلن صدام حسين أنه أنتج صاروخاً جديداً وسماه «الحجارة». فهل هذا هو الرد العراقي على إسرائيل؟

- تسألني أنا؟! لقد ذكرت لك أن صدام حسين لم يكن ينوي - في يوم من الأيام - أن يدخل معركة مع إسرائيل. تبين - للأسف - أن صدام حسين جبان عندما أقدم على الحرب مع إيران، كان يعتقد أنها ممزقة ومهلهلة، وأن المعركة سوف تكون نزهة عسكرية، تنتهي خلال أسبوعين وعندما أقدم على احتلال الكويت، تصور أنه يقوم بنزهة عسكرية أخرى. صدام حسين يعرف أن الاشتباك مع إسرائيل، لن يكون نزهة عسكرية، ولهذا لم يقدم عليه.

❣ مادمت أتيت على ذكر الحرب الإيرانية/العراقية، هل كنت تتمنى استمرار تلك الحرب، حتى لا يتفرغ صدام حسين لاحتلال الكويت؟

- لا يوجد إنسان يتمنى استمرار الحروب، إلا إذا كان مصاباً بمرض نفسي، أو كان تاجر أسلحة. وأنا لا أنتمي إلى أيٍ من هاتين الفئتين.

❣ هل لاحظت - كما لاحظنا - أن الخميني أثّر في صدام حسين؟ فها هو الآن يعلن نفسه: المسلم، التقي، الورع، ولا يتحدث إلا باسم الإسلام، وأنت كتبت عدة مقالات حول ذلك؟

- صدام حسين - كأي مغامر - يركب الموجة التي يراها أمامه. لقد رأى فعالية الشعارات الإسلامية أثناء حربه مع إيران، فقرر أن يستخدمها. يجد الآن أن الشعارات الفلسطينية مؤثرة، فيستخدمها.

وإذا وجد غداً شعاراً جديداً فعالاً، فلن يتردد في استخدامه. لا تنسي أنه أيام الحرب الإيرانية/العراقية - أثناء حرصه على اجتذاب الدعم الخليجي - كان يلبس ثوباً وغترة وعقالاً! لم يلبس الثوب الخليجي طيلة حياته، وبدأ يلبسه أيام الحرب، وبدأ يتكلم بلهجة أهل الخليج، ويستخدم أمثالهم، واعتبر نفسه من البدو، ونسي كل شعاراته السابقة.

؟ عندما ارتدى الثوب الخليجي، كانت الحرب على وشك النهاية، وفسر البعض ذلك بأنه كان يريد أن يفهم أهل الخليج، أن الزعامة الخليجية في بغداد.

- هناك فرق بين الزعامة والهيمنة. هناك دول تتمتع بالزعامة بحكم مركزها، سواء قام هذا المركز على ثقل سكاني، أو تفوق عسكري، أو اعتبارات دينية. مصر - مثلاً - بثقلها البشري، لها موقع متميز في المنطقة، سواء حكمت مصر كليوباترا، أو حكمها أنور السادات. هذا الموقع حقيقة من حقائق التاريخ. والمملكة العربية السعودية، لها موقع روحي متميز، لوجود مكة المكرمة، والمدينة المنورة فيها شاء الأعداء أم أبوا. صدام حسين خرج من الحرب بقوة عسكرية هائلة، وكان يعطى الصدارة والقيادة في الخليج، ولم يكن هذا محل نزاع. إلا أنه لم يقنع بهذا، وأراد المزيد. هناك فرق بين أن أعترف لدولة بالقيادة، وأن أتحول إلى قضاء في إقليم هذه الدولة.

❣ **بعد حملتك على الفلسطينيين......**

- أنت تريدين توريطي على طريق السؤال الإنجليزي الذي يبدأ: «هل لازلت تضرب زوجتك؟»! وسواء كان الرد بالإيجاب أو النفي، فإن واقعة الضرب ثبتت. أنا لم أحمل على الفلسطينيين أبداً. إذا كان المقصود هجومي على ياسر عرفات، فأنا أقبل على العين والرأس.

❣ **ياسر عرفات والزعامة الفلسطينية.**

- كتبت - بالتحديد - عن «عرفات»، و«حبش»، و«حواتمه». فإذا كان هؤلاء هم كل الفلسطينيين، فبإمكانك أن تعتبري ما كتبت، هجوماً على الفلسطينيين.

❣ **ما هو تعليقك على مجزرة القدس؟**

- هل يحتاج الأمر إلى تعليق؟! مقتل فلسطينيين على أيدي إسرائيليين ! هل وصلنا إلى مرحلة تستوجب أن يكون تعليقي مختلفاً، عما كان عليه قبل أحداث الكويت؟ شعوري هو الغضب والمرارة. هل يمكن لأي عربي أن يكون لديه شعور مختلف؟

❣ **هل تشعر بخيبة لأن وزراء خارجية المجموعة الأوروبية، توصلوا إلى شبه اتفاق، بإمكانية حل الأزمة دبلوماسياً، فينسحب صدام حسين من الكويت مقابل ضمان دولي، أن يستمر على رأس السلطة في العراق؟**

- لقد قلت لك: إن الذي يدعو إلى الحرب، أو يطرب لها، هو إنسان مريض، أو تاجر أسلحة. وأنا لم أَدْعُ إلى الحرب قط. الذي دعا إلى الحرب وأعلنها، هو صدام حسين. هل أنا الذي احتللت الكويت؟! هو الذي احتلها، وهو الذي استخدم القوة العسكرية في احتلالها.

إذا وصلنا إلى حل سلمي يعيد الكويت كما كانت، ويعيد الشرعية دون مكافأة العدوان - فستكون هذه أسعد لحظة في حياتي، وفي حياة كل مواطن كويتي، وكل مواطن خليجي. مشكلتنا مع هذا الرجل، أنه كلما فتح الباب أمامه للخروج بماء وجهه، أغلق الباب، وبصق في وجه من جاء بالمحاولة لم يبق رئيس دولة لم يناشده. لم يبق تجمع دولي لم يناشده. لم تبق دولة لم تتوجه إليه بالرجاء. من الذي يقف الآن في وجه الحل السلمي رجل واحد فقط! هذا الرجل يقول: إنه مستعد لأن يحارب ألف سنة وأن يدمر المنطقة بأكملها وأن يبقيها في الظلام.

❣ هدّد رافسنجاني بأنه لن يسمح للكويت بقبول تسوية مع العراق، تتنازل فيها عن «جزيرة بوبيان»، أو تقبل تغييراً في حدودها. أي مؤشر ترى في هذا التصريح؟

- هناك من استفاد من عملية صدام حسين الأخيرة، وفي مقدمتهم الرئيس «رافسنجاني»، ثمار الانتصار تتساقط عليه الآن، الواحدة بعد الأخرى، ما لم يستطع تحقيقه عسكرياً طيلة

ثماني سنوات، حققه له غزو الكويت في شهر واحد لا يحتاج الرئيس «رافسنجاني» - وهو رجل ذكي - إلى أن يعمل شيئاً، سوى الجلوس تحت الشجرة، والتقاط الثمار المتساقطة وهو الآن يفعل ذلك.

❣ هل من المقبول أن يبقى صدام حسين على السلطة في العراق، كما هو الآن؟

- مشكلتنا مع صدام حسين بدأت، لأنه - أولاً - احتل الكويت، ولأنه - ثانياً - حشد قواته على حدود المملكة العربية السعودية. هذه مشكلتنا مع صدام حسين، لا أكثر ولا أقل. نحن لسنا أوصياء على شعب العراق. إذا خرج صدام حسين من الكويت، وعادت الحكومة الشرعية، وزال الخطر الذي يهدد المملكة العربية السعودية، وبقية دول الخليج - فإن مصير صدام حسين مع الشعب العراقي، أمر لا يعنينا في كثير أو قليل. نحن نرفض أن يعطي صدام حسين لنفسه الوصاية علينا، فكيف نسمح لأنفسنا بإعلان الوصاية على شعب العراق؟ إذا أراد شعب العراق أن يحتفظ بصدام حسين رئيساً مدى الحياة، فليحتفظ به، وإذا أراد أن يتخلص منه، فليتخلص منه.

❣ ظهر «طارق عزيز» على التلفزيون الأمريكي وقال: إن العراق أمة عمرها خمسة آلاف سنة، وتاريخها لا يقول: بأنها تستسلم، أو ترضخ للضغوط. فما رأيك في هذا الكلام، وفي الأمة العراقية؟

- نحن - في المملكة - أمة عمرها ١٤٠٠ سنة، أي عمر الإسلام، وقبل الإسلام لم نكن أمة، بل كنا شعوباً وقبائل متحاربة. تاريخنا الحقيقي - كأمة - يعود إلى هذا التاريخ. ولا أدري كم عمر العراق كأمة، وهل هو خمسة آلاف سنة، أو أقل، أو أكثر. ولكن لماذا البحث في أعماق التاريخ؟ نحن نتكلم عن وضع معاصر نعيشه جميعاً، عن منظومة دولية، تجسدت في إنشاء «الأمم المتحدة» سنة ١٩٤٥م. وهذا الوضع المعاصر يقول - بكل بساطة -: يجب على كل دولة أن تحترم سيادة الدول الأخرى.

لماذا ندخل في متاهات ونقول: أيام أشور وبابل ملكنا العالم، وأيام نبوخذ نصر فعلنا وفتحنا؟

نحن كنا نسخر من الإسرائيليين؛ لأنهم يقولون: إن لدينا حقوقاً في فلسطين، منذ زمن التوراة. هل نقلد الإسرائيليين الآن، ونتحدث عن حقوق من أيام بابل، وحدائقها المعلقة؟ هذا الحديث عن حضارة عمرها خمسة آلاف سنة، هو تمييع للمشكلة، وهو تمييع سمج، وغير موفق.

❢ كيف ترى علاقة صدام حسين بالتاريخ؟ والذين يعرفونه يقولون: إنه ينتشي كلما شبهوه بنبوخذ نصر، أو حمورابي!

- الشيء المؤكد أن صدام حسين يعاني من مركب عظمة، ويحس برغبة عارمة في دخول التاريخ، وهو يتعلق بكل ما يمكن أن يساعد

في إدخاله التاريخ. هذه الأيام بدأ الحديث عن الرسول ﷺ، وعن سيدنا علي – رضي الله عنه – !!

في مقابلة شاهدتها مؤخراً، ذكر أن من أهم الأسباب التي دفعته إلى الانخراط في حزب البعث، ما سمعه من بطولة سيدنا الحسين – رضي الله عنه – واستشهاده! أمر غريب جداً، أن تدفع بطولة سيدنا الحسين، إنساناً إلى الانخراط في حزب البعث. هذا فتح جديد في التفكير! إلا أن صدام حسين – في سبيل الحصول على مكان في التاريخ – مستعد لتقمص أية شخصية تاريخية، من نبوخذ نصر، إلى سعد بن أبي وقاص! من سوء حظه أنه سيدخل التاريخ بصفة واحدة، هي: «محتل الكويت»!.



الفصل الخامس

رحلة هادئة في الأعماق

مقابلة أجرتها المجلة العربية

(العدد ١٤٩ - يناير - ١٩٩٠م)

هذه «اللقاءات»، أجمل ما فيها أنها تجيء بعيدة عن روتين العمل، ورتابة القيود، تجيء عفوية، تكشف - بصدق - عن بعض الجوانب الشخصية والحياتية، لمن تتم استضافته، بعيداً عن كرسي العمل، وهموم المسؤولية. رحلة مع الضيف: الإنسان، والزوج، والقارئ، والرجل العادي. إنها رحلة في عقل ووجدان «الضيف»: ليعرف القراء أشياء، لا يعرفونها عنه. رحلتنا في هذا العدد مع: «الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي».

❣ ما أعظم شيء يبعث الراحة في نفسك، في هذه الحياة؟

- ضحكات أولادي.

❣ بيت شعر تردده دائماً؟

- «سائلي الأعماق عن غواصها

أنا صياد لآليها ... أنا!»

لناجي.

❣ رؤساء تحرير الصحف والمجلات، ماذا تقول لهم؟

- «حنانيك! بعض الشر أهون من بعض!».

❣ زوج ابنتك، ما أهم شيء تريد أن يتوفر فيه؟

- الوفاء.

❣ المهاترات الصحفية، ماذا تقول عنها، عندما تراها على صفحات الصحف والمجلات؟

- ياضيعة الحبر!

❣ دعاء تقوله دائماً؟

- «اللهم أرني الحق حقاً، وارزقني اتباعه، والباطل باطلاً، وارزقني اجتنابه».

❣ ذنب لا تغتفره لأحد؟

- طعن الجريح، وقتل الميت!

❣ **دمعة غالية، ذرفتها، ولم تنسها حتى الآن؟**

- عندما مشيت وراء أبي، وهو محمول على الأعناق!

❣ **بصراحة، هل كنت تطمح إلى أن تكون كما أنت الآن؟**

- تقصد من ناحية الوزن؟! كلا بالطبع!

❣ **الشعر الحر، ماذا تقول فيه؟**

- «قد قيل ما قيل - إن صدقا وإن كذباً -

فما اعتذارك عن قولٍ إذا قيلا؟!»

❣ **شاعر تحب شعره، وكاتب تقرأ له، وقارئ تحب الاستماع إلى تلاوته، وصحيفة تحرص على قراءتها؟**

- المتنبي - طه حسين - عبد الباسط - هذه الوريقات.

❣ **الصبر، هل تتعامل معه؟**

- هل هناك خيار لأحد؟

❣ **الضوء، متى تحس به يشرق في وجدانك؟**

- عندما أصلي في صحراء شاسعة.

❣ **متى تغضب؟ ومتى تفرح؟**

- أغضب مع العجز، وأفرح مع الاستطاعة.

❣ **عندما تتقاعد من عملك، ما هو العمل الذي ترغب في مزاولته؟**

- تدريس اللغة العربية، في مدرسة ثانوية - بدون تفرغ -.

❣ رسالة واحدة قصيرة، لو طلبنا منك أن تبعثها، فلمن تبعثها؟ وماذا ستقول فيها؟

- إلى نفسي: ما قالته صاحبة عمر بن أبي ربيعة: «أما ترعوي؟ أو تستحي؟ أو تفكر؟!».

❣ قول تؤمن به، وأفدت منه في حياتك وسلوكك؟

- «أعقل الناس، أعذرهم للناس».

❣ كلمة النقد توجه إليك، ضمن حدود مسؤوليتك، كيف تواجهها؟

- بشيء من الضيق!

❣ لديك موظف أخطأ في عمله، كيف تستطيع أن تصحح خطأه دون أن تخسره؟

- «إذا كنت في كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه»

❣ كتاب قرأته وما يزال صدى أفكاره يتردد في نفسك؟

- «غزو السعادة»، للفيلسوف البريطاني «برتراند رسل».

❣ منظرشاهدته في حياتك، ولم تنسه؟

- كنت في الخامسة عشرة اصطاد العصافير وسقطت

عصفورة.. ورأيت في العش عصفورين صغيرين حرما أمهما!!
سيبقى المشهد معي حتى أموت!.

❣ متى تأوي إلى فراشك، وتحس أن ضميرك مرتاح؟

- هذا ترف لم أجرّبه حتى الآن!!

❣ وشاية أطلقت عليك كذباً؟ كيف تقابلها!

- «فصرت إذا أصابتني سهامٌ
تكسرت النصال على النصال!»

❣ الوساطة، هل تتعامل معها؟ هل تقبلها - إذا كانت في حدود المساعدة، دون إضرار بالآخرين-؟

- الوساطة - بكل أنواعها: الحميدة والخبيثة - هي - كما يقول الفقهاء - مما تعمّ به البلوى! والله - وحده - المستعان.



الفصل السادس

مداعبات ومشاغبات!

مقابلة أجراها الأستاذ/ غازي العبدالله؛ (مجلة اليمامة - العدد ١١٧ - أغسطس - ١٩٩٠م)

❣ **ما هي مهمة الشاعر المعاصر؟**

- يكفيك مني أن تكوني في فمي لحناً شقياً!».

❣ والسياسي؟

- «أنا أعمى؛ فكيف أهدي إلى المنهج؟ والناس كلهم عميان!».

❣ **والمفكر؟**

- «إقامة العجز بين اليأس والتعب؟».

❣ **ما الفرق بين الحلم والواقع؟**

- «فإنما يقظات العين كالحلم!».

❣ **هل انصرف الناس عن الشعر؟**

- العكس هو الصحيح.

❣ **أيهما أكثر أثراً: المال.. أم الشعر؟**

- «تمنيت كل شيء على الله سوى أن أعيش من أوزاني».

❣ **هل أنت راضٍ عن كل الشعر الذي كتبته؟**

- «وما أنا عن نفسي - ولا عنك - راضياً!».

❣ **ما هو أجمل ما في المرأة؟**

- «عيوني تبغي؟ أم خدودي؟ أم فمي؟

فقلت لها: هذي، وتلك، وذاكا»

❣ لماذا فتن بعض الشعراء بالعيون، وآخرون بغيرها؟

- «لكل امرئٍ من دهره ما تعودا».

❣ ما اسم ديوانك القادم؟

- «عقد من الحجارة».

❣ هل كثرة الإنتاج تعني الجودة؟

- ولا الرداءة حتى!

❣ لماذا «ينضب» بعض المبدعين؟

- «لكل شيءٍ إذا ما تم نقصان!».

❣ يقولون: إن النكتة في مصر في طريقها للتلاشي!

- «ولكنه ضحك كالبكا!».

❣ وكبدة «الحاشي»؟

- من يبيعني «بها كبدا ليست بذات قروح»؟

❣ الحداثة، وما أدراك ما الحداثة؟

- «لست أدري، ولا الغذاميُّ يدري!».

❣ ماذا نقول في أمنية «بشار بن برد»:

- «ليت داء الصُّداع أمسى برأسي

ثم باتت سعاد من عوادي!»

أرجو أن يكون معها «بنادول!».

❣ هل تمارس الرياضة؟

- «إن في بـــرديّ جسـمـا نـاحـلاً

لـــو تـــوكـــأت عـلـيـه لانـــهـــدم!»

❣ **الشعر: هم شخصي، أم جماعي؟**

- «شخاعي!».

❣ **بماذا تمتاز الحياة الثقافية في البحرين؟**

- «ولكنّ كلّنا في الهم شرقُ».

❣ **وهؤلاء:**

❣ إبراهيم العواجي:

- «خليليّ! هذا ربع عزة فاعقلا

قلوصيكما، ثم ابكيا حيث حلّتِ!»

❣ **أحمد عبدالمعطي حجازي:**

- «ياويله من لا يحب!

كل الزمان حول قلبه شتاء!»

❣ **أسامة عبدالرحمن:**

- «لا أنت أدركت الصواب، ولا أنا!».

❣ المنصف الوهابي:

- «أنا ياتونس الحبيبة - في بحر الهوى - قد سبحت أي سباحة!».

❣ أحمد صالح «مسافر»:

- «موكّل بفضاء الله يذرعه!».

❣ ثريا العريض:

- «هل يلد الشاعر إلا شاعرة؟».

❣ سعد الحميدين:

- «أيا سعدُ أخبرني بأخبار من مضوا

فأنت خبيرٌ بالأحاديث يا سعدُ»

❣ سعاد الصباح:

- «رفقاً بالقوارير!».

❣ علوي الهاشمي:

- «حفظت شيئاً، وغابت عنك أشياءُ!».

❣ ظبية خميس:

- لو كنت أعرف ما تقول عذرتها!.

❣ حسين سرحان:

- «هذا القصيد ستروبه وتحفظه

من الخلائق أجيال وأجيال!»

❣ كيف نحارب الجوع؟

- بأن يقسّم كلٌّ منا جسمه في جسوم صغيرة!

❣ والحب؟

- «أكلُّ فصيحٍ قال شعراً متيمُ؟».

❣ شاعرك المفضل؟

- «لم أقلْ وحدي! فمن أنبأهم

أن شعري - وحده - بيت القصيدْ؟»

❣ هل تسمع أم كلثوم؟

- «يافؤادي، رحم الله الهوى!

كان صرحاً من خيالٍ فهوى!»

❣ الدبلوماسية، هي ألا تقول رأيك؟!

- «وإذا قلت لها: جودي لنا

خرجت بالصمت عن: لا، ونعم!»

❣ الخمسون، أين هم؟

- «لاتسأليني عن الخمسين: ما فعلت؟

يفنى الشباب، ولا تفنى سجاياه!»

❣ ماذا تقول للمرأة العربية - عموماً؟

- أقول لها - وقد طارت شعاعاً

من الأبطال -: «ويحكِ لا تراعي!»

❣ والتدخين؟

- «كيف يسعى في جنون من عقل؟!».

❣ والسهر؟

- «قل للتي تنعم في خدرها

بالنوم: قد طال عليَّ السهر!»

❣ والتنظير؟

- «أشدُّ الناس للعلم ادعاءً

أقلُّهمُ بما هو فيه علماً!»

❣ من أين ينبع نهر الإبداع؟

- «وترٌ في اللهاة، ما للمغني

من يدٍ في صفائه وليانه»

❣ ما هي العلاقة بين اللؤلؤ الصناعي، والشعر الرديء؟

- اللؤلؤ الصناعي أشد بريقاً!

❣ الانتفاضة والشعراء العرب؟

- «إنما المجدُ في صيالِ العوالي

والهوانُ المخزي صيالُ الحناجر!»

❣ **مدينتك المفضلة عربياً، ولماذا؟**

– «هوى كلِّ نفسٍ حيث حل حبيبها!».

❣ **الألمان هم الألمان؟**

– «وهكذا كان أهل الأرض قد فُطروا

فلا يظنّ جهولٌ أنّهم فسدوا»

❣ **وزجاجة الكوكاكولا، صممت على شكل زنجية؟**

– «.........» عليها قلائد من جمان!».

❣ **قل شيئاً للصحافة السعودية.**

– «شيئاً».

❣ **والعربية:**

– «كذبٌ يقالُ على المنابر دائماً

أفلا يميدُ – لما يقالُ – المنبرُ؟»

❣ **وللكرة السعودية:**

– «لستِ من ليلي ولا سَمَرِه!».

❣ **ما رأيك في إقامة «كأس العلم للشعر»؟**

– «تكاثرت (الكؤوسُ) على خراشِ!»

❣ **هل تتوقع حرباً عالمية ثالثة؟**

- «وإنّي ممن يكرهُ الموتَ والبلى

ويعجبه ريحُ الحياة وطيبُها»

❣ متى تشعر بالضجر؟

- «ويأتيني الأُلى شابوا وخابوا

كأني صرت مأوى العاجزينا!»

❣ ما هي السعادة؟

- «وما السعادة في الدنيا سوى حُلُمٍ

يُرجى، فإن صار طيفاً ملّهُ البشرُ!»

❣ كلمة أخيرة، لمن؟.

- «لو استطعتُ - إذا ما كنتِ غائبةً -

غضضتُ طرفي، فلم أنظرْ إلى أحدِ!»

